

العصر العباسي في العراق والمشرق

(١٣٢هـ - ٦٥٦هـ)



سفير

A:J
297.09
M462m
v.3
c.1

موسوعة سفير
للتاريخ الإسلامى

A
J
297.09
7462m
N.3

العصر العباسى فى العراق والمشرق

[١٣٢ - ٦٥٦ هـ]

إهداء من روح المرحوم الحاج
ميتى كركى ميتى كركى

LAU - Riyad Nassar Library

09 JUL 2008

RECEIVED

تأليف

د. عبد الرحمن سالم
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
بجامعة القاهرة

أ.د. حسن على حسن
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
بجامعة القاهرة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لشركة
٥ ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة. ص.ب: (٤٢٥) الدقى

١٣١٩ ١٣١٩

مقدمة الكتاب

يتناول هذا الجزء من «موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي» تاريخ الدولة العباسية التي امتدت لفترة زمنية طويلة تزيد على خمسة قرون (١٣٢ - ٦٥٦ هـ)، واتسعت لتشمل مساحات كبيرة من العالم الإسلامي، ومرّت خلال عمرها المديد بفترتين اصطلاحاً أغلب المؤرخين على تسميتهما بالعصر العباسي الأول والعصر العباسي الثاني.

وشهد العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) حياة مزدهرة، وسلطاناً واسعاً وقوة غالبية وجاهاً عريضاً، حتى أطلق عليه العصر الذهبي للخلافة أو عصر القوة والازدهار، وذلك بفضل جهود خلفائه العظام، ووزرائه الأكفاء، وقادته المهرة.

واستقرت في هذا العصر النظم السياسية والإدارية، فاستحدثت نظام الوزارة، وارتقت وظائف الكتابة، واتسع نظام الدواوين، واستقل منصب القضاء، كما ازدهرت الحياة الاقتصادية، وتعددت موارد الدولة، وارتفع مستوى المعيشة، وازداد العمران، وبنيت المدن والعواصم، وأقيمت الأسواق، وشيدت المساجد والقصور، أمّا الحياة الفكرية فقد ازدهرت ازدهاراً عظيماً في شتى فروع المعرفة، فتمايزت العلوم واستقلت، ونهضت حركة الأدب، ونشطت الترجمة، وكثرت حلقات العلم، وبرز العلماء والأدباء، وظهرت المذاهب الفقهية، ووضعت الكتب والمصنفات.

أما العصر العباسي الثاني الذي دام أكثر من أربعة قرون فيقسمه المؤرخون إلى أربع فترات رئيسية هي: فترة نفوذ الأتراك (٢٣٢ - ٣٣٤ هـ)، وفترة سيطرة البويهيين (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ)، وفترة نفوذ السلاجقة (٤٤٧ - ٥٩٠ هـ)، وفترة ما بعد السلاجقة، وهي الفترة التي انحصرت فيها نفوذ الخلفاء في بغداد وما حولها.

وقد تميز هذا العصر بظهور الدولة المستقلة عن الخلافة وإن ارتبطت بها ارتباطاً اسمياً كالدولة «الصفارية» (٢٥٤ - ٢٨٩ هـ) في فارس وخراسان، والدولة «السامانية» (٢٦١ - ٣٨٩ هـ) في بلاد ما وراء النهر وخراسان، و«الدولة الحمدانية» (٢٩٣ - ٣٩٢ هـ) في الموصل وحلب، و«البويهيين» في فارس وشيراز وأصبهان والري وهمدان، كما ظهر «الفاطميون» في الشمال الإفريقي واستولوا على مصر، واتخذوا من القاهرة عاصمة لدولتهم الشيعية.

وفي هذا العصر فقد الخلفاء نفوذهم ولم يعد لهم من الأمر شيء، وضاعت هيبتهم، وتعرض بعضهم للعزل والإهانة وعدم التوقير، بل والقتل أحياناً دون نظر إلى جلال المنصب في النفوس، لكنهم نعموا في ظل السلاجقة بقدر كبير من الاحترام والتوقير، وإن لم يتمتعوا بسلطة الخلافة الحقيقية التي كانت في أيدي السلاجقة.

وعلى الرغم من افتقار هذا العصر إلى الوحدة السياسية فإنه شهد تفوقاً حضارياً هائلاً ونهضة فكرية شاملة، وازدهاراً في الحركة الثقافية، وبروزاً لعدد ضخم من الفقهاء والمفسرين والكتاب والشعراء وغيرهم، وتنافساً في بناء المدارس واجتذاب العلماء.

وظلت الدولة العباسية قائمة حتى استطاع «هولاكو» دخول بغداد في المحرم من سنة (٦٥٦ هـ)، والقبض على الخليفة «المستعصم العباسي» وأهل بيته، وقتلهم جميعاً، وبهذا سقطت الخلافة العباسية في بغداد، وهي التي ظلت لأكثر من خمسة قرون رمزاً لوحدة المسلمين حتى في فترات الضعف التي حلت بها.

الهيئة المشرفة:

أ.د. حسن محمود الشافعي

عضو مجمع اللغة العربية والأستاذ بجامعة القاهرة.

أ.د. حسن علي حسن

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة.

أ.د. عبدالشافعي محمد عبداللطيف

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر

أ.د. عبدالله جمال الدين

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة.

أ.د. محمد حرب

رئيس مركز بحوث العالم التركي

المحرر العام

أحمد عبدالفتاح تمام

تحرير

السيد محمد السرساوي

الإشراف على التنفيذ

عمر على الكومي

المراجعة اللغوية والتصحيح

زينهم البدوي

الإخراج الفني

ماهر عبدالقادر

رسم

عبد المرحضى عبيد

ماهر عبد القادر

إبراهيم الطهطاوي

محمد نادى



رقم الإيداع ٨٠٣٨ / ١٩٩٦

الترقيم الدولي : 6 - 493 - 261 - 977 - I.S.B.N

الخلافة العباسية

ينتسب خلفاء «بنى العباس» إلى جدهم «العباس بن عبدالمطلب» عم النبي ﷺ، الذي عاش في «مكة» وأسلم بها، وكانت له مكانته عند رسول الله ﷺ.



وقد أنجب «العباس» عدداً من الأبناء، أشهرهم: «عبدالله بن عباس» الذي أطلق عليه «ترجمان القرآن» و«خبر الأمة» لسعة علمه وحدة ذكائه.

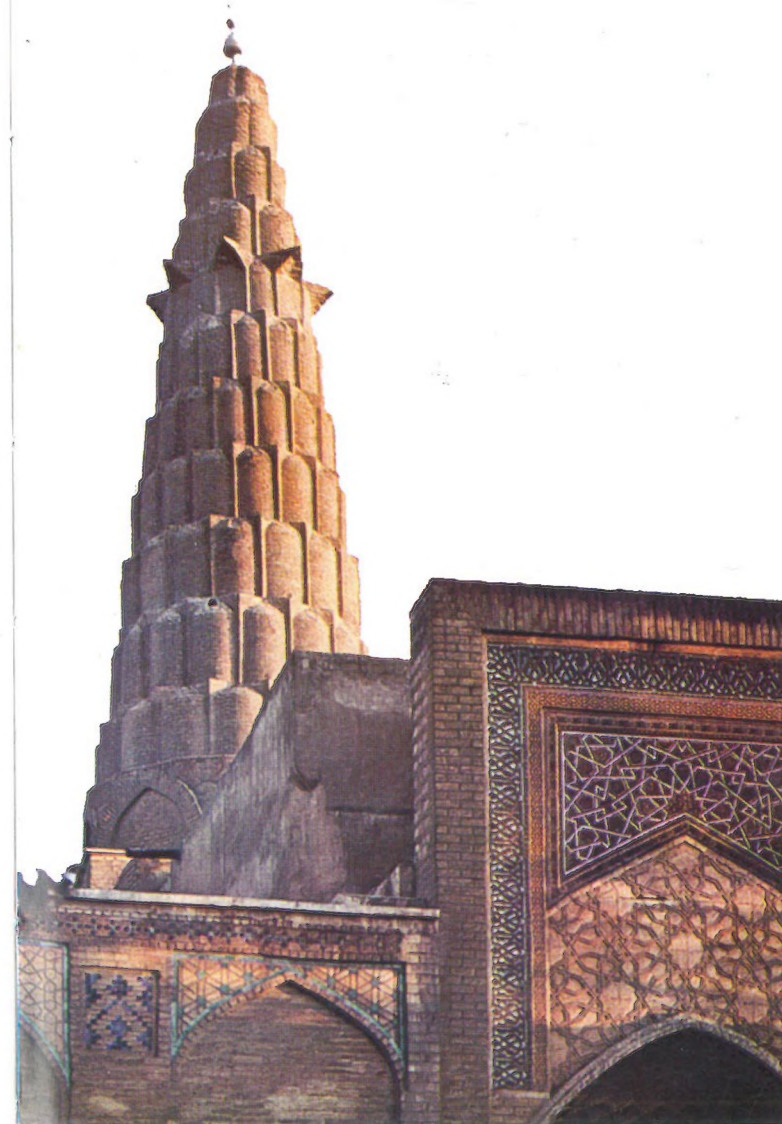
ترك «عبدالله» كثيراً من الأبناء منهم «علي بن عبدالله»، الذي يُقال له «السجاد»؛ لكثرة عبادته، وأنجب «السجاد» أولاداً كثيرين، أشهرهم «محمد بن علي»، الذي نظم الدعوة العباسية وخرج بها إلى حيز الوجود، وأحاط تحركاته بجو من السرية والكتمان، حتى أطلق على المرحلة التي مرت بها الدعوة العباسية في عهده «المرحلة السرية».

وتعد من سنة (١٠٠هـ = ٧١٨م) إلى سنة (١٢٩هـ = ٧٤٦م)، وتحركت الدعوة فيها من ثلاثة أماكن هي:

- ١ - الحميمة: وهي قرية صغيرة منعزلة في جنوبي «الشام»، اتخذتها الأسرة العباسية مقراً لها.
- ٢ - الكوفة: وتعد المركز الرئيسي لنشاط الدعاة العباسيين، وتتوسط بلاد «الشام» و«العراق» و«خراسان».
- ٣ - خراسان: حيث نجح الدعاة العباسيون في اجتذاب الآلاف إليهم.

وبدأت الدعوة بجماعة تُسمى «القباء»، قاموا بتكوين «مجلس شوري» برئاسة «سليمان بن كثير الخزاعي»، وكان مركز الدعوة في «الكوفة» يتلقى التعليمات من مقر البيت العباسي في «الحميمة» ويرسلها إلى أنصار الدعوة في كل مكان، وخاصة «خراسان».

وعقب وفاة الإمام «محمد بن علي» سنة (١٢٥هـ = ٧٤٢م) تولى ابنه «إبراهيم» - المعروف بالإمام - شؤون الدعوة، وقد نشطت في عهده، واتخذت اللون الأسود شعاراً لها.





وقد تهيأ للدعوة العباسية أسباب النجاح منذ أن أسندت مهمة الإشراف على الدعوة في «خراسان» إلى «أبي مسلم الخراساني»، الذي جمع حوله الأنصار والأعوان، وخاض بهم ساحات القتال محققاً العديد من الانتصارات، وقام بدور مهم في قيام «الدولة العباسية».

وقد واجه العباسيون بزعامة «أبي مسلم» قوى مختلفة في «خراسان»، فور إعلان ثورتهم ليلة الخميس (٢٥ من رمضان سنة ١٢٩هـ = ٩ يونيو ٧٤٧م)، وتمثلت هذه القوى في «نصر بن سيار» والوالي الأموي، وقبائل «اليمن» و«ربيعة»، و«الخوارج»، لكن «أبا مسلم» استطاع بذكائه ودهائه أن يوقع بينها مستغلاً العنصر القبلي وإثارة العصبية بين أفرادها.

وبعد معارك كثيرة استطاعت

قوات «أبي مسلم الخراساني» أن تدخل مدينة «مرو» عاصمة إقليم «خراسان»، ثم استولت على «همدان» و«نهاد» و«حلوان» و«خانقين» وغيرها، حتى دخلت «العراق»، وكان وراء ذلك النجاح

الكبير الذي أحرزه العباسيون في نشاطهم الدعائي والعسكري أسباب كثيرة، منها:

١ - الدعوة الدائمة والمنظمة التي استمرت ما يقرب من ثلاثين سنة على أيدي دعاة مدرّبين.

٢ - كثرة الجيوش العباسية واندفاعها لاكتساح القوات الأموية.

٣ - القيادة الحكيمة التي استطاعت تنظيم أنصار الدعوة العباسية وتسليحهم وتوجيههم إلى ميادين القتال المختلفة.

٤ - تمزق صفوف الجيوش الأموية بسبب العصبية القبلية.

٥ - نجاح العباسيين في جذب مجموعة من القادة الأكفاء الذين أداروا المعركة باقتدار ضد الأمويين، منهم «أبو مسلم الخراساني»، و«أبو سلمة الخلال» كبير الدعاة العباسيين بالكوفة، و«ابن شبيب الطائي» الذي قاد الجيوش العباسية المتجهة إلى «العراق».

انتقلت الأسرة العباسية من «الحميمة» سرا إلى «الكوفة»، بعد إلقاء القبض على «إبراهيم الإمام» وقتله في أحد سجون «دمشق»، وكان قد أوصى بتولية أخيه «عبدالله» شؤون الدعوة.

وفي «الكوفة» أقامت الأسرة العباسية عند «أبي سلمة الخلال» كبير الدعاة أربعين يوماً حتى تهيأت الظروف لمبايعة أول خليفة عباسي هو «عبد الله بن محمد».

الخلفاء العباسيون في العصر الأول (١٣٢ - ٢٣٢هـ = ٧٤٩ - ٨٤٧م)

يمتد العصر العباسي الأول قرناً من الزمان، من سنة (١٣٢هـ = ٧٤٩م) إلى سنة (٢٣٢هـ =

٨٤٧م)، ويعد العصر الذهبي للخلافة العباسية؛ حيث تمتع الخلفاء بسلطتهم الدينية والدنيوية. وخلفاء هذا العصر تسعة، هم:

١ - أبو العباس عبدالله (١٣٢-١٣٦هـ = ٧٤٩-٧٥٣م).

٢ - المنصور (١٣٦-١٥٨هـ = ٧٥٣-٧٧٥م).

٣ - المهدي (١٥٨-١٦٩هـ = ٧٧٥-٧٨٥م).

٤ - الهادي (١٦٩-١٧٠هـ = ٧٨٥-٧٨٦م).

٥ - الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ = ٧٨٦-٨٠٩م).

٦ - الأمين (١٩٣-١٩٨هـ = ٨٠٩-٨١٣م).

٧ - المأمون (١٩٨-٢١٨هـ = ٨١٣-٨٣٣م).

٨ - المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ = ٨٣٣-٨٤٢م).

٩ - الواثق : (٢٢٧- ٢٣٢هـ = ٨٤٢-٨٤٧م).

* الخليفة الأول : أبو العباس (١٣٢-١٣٦هـ = ٧٤٩-٧٥٣م):

هو «عبدالله بن محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم»، ولد سنة (١٠٠هـ = ٧١٨م) تقريباً.

بويح «أبو العباس» في «الكوفة» في شهر ربيع الأول سنة (١٣٢هـ = ٧٤٩م).

واستمر في الحكم أربع سنوات، استطاع خلالها توطيد أركان الخلافة العباسية، والقضاء على كل مقاومة ظهرت في عهده.

* موقف العباسيين من الأمويين:

مما لاشك فيه أن هناك بعض التجاوزات التي حدثت في إقليم «الشام» على يد والي العباسي «عبدالله بن علي»، عم الخليفة «أبي العباس»؛ حيث تعقب الأمويين في كل مكان وقتل كثيراً منهم، مما دفع بعضهم إلى الفرار إلى مناطق بعيدة، كما فعل «عبد الرحمن بن معاوية» - صقر قرش - الذي فر إلى «المغرب» ومنها إلى «الأندلس»؛ حيث أسس دولة أموية هناك سنة (١٣٨هـ = ٧٥٥م)، كما حاول بعضهم الآخر التخفي وطلب العفو.

ومن ناحية أخرى، لم يقف أنصار الأمويين وأعوانهم مكتوفي الأيدي أمام انتصارات العباسيين، وما ارتكبه بعض ولايتهم من مذابح تجاه البيت الأموي، فقاموا بعدة ثورات في أماكن متفرقة، إحداها بالبلقاء و«حوران» سنة (١٣٢هـ = ٧٤٩م)، وأخرى في «قنسرين»، وثالثة في «دمشق»، لكن قوات العباسيين استطاعت الانتصار عليها والسيطرة على الموقف.

- موقف الخلافة من بعض زعماء الدعوة العباسية:

واجهت «الدولة العباسية» قبيل إعلانها وفي بداية قيامها انحراف بعض المسؤولين فيها، ولم تكن الظروف السياسية التي صاحبت قيام «الدولة العباسية» تسمح بالتخلص من هؤلاء، فلما بويج «أبو العباس» بالخلافة وبدأت الدولة تأخذ طريقها إلى الاستقرار؛ قامت بمعاقبة هؤلاء، وكان أول من عوقب «أبا سلمة الخلال» بسبب عدم تحمسه كثيراً لانتقال أفراد البيت العباسي من «الحميمة» إلى «الكوفة»، ولم يأذن لهم بدخول «الكوفة» إلا بعد فترة، وحاول نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي إلا أنه فشل في ذلك، كما حاول قتل «أبي العباس» وفشل في ذلك أيضاً، فلما استقرت أمور الدولة استقر رأى أفراد البيت العباسي على أخذ رأى «أبي مسلم الخراساني»، الذي وافق على التخلص منه، فتم اغتياله وأعلنت القيادة العباسية أن جماعة من أعداء الدولة هم الذين نفذوا هذه المؤامرة.

كما قام «أبو مسلم الخراساني» والى إقليم «خراسان» بالتخلص من أحد كبار الدعاة وهو «سليمان بن كثير»، الذي كان يُعرف بنقيب النقباء، عقب اتهامه بالاتصال بأحد أبناء البيت العلوي وتحريضه على الثورة ضد البيت العباسي.

وتُوفي الخليفة العباسي الأول «أبو العباس» بالأنبار في (١٣) من ذي الحجة سنة ١٣٦هـ = ٩ يونيو ٧٥٤م)، وعمره نحو ست وثلاثين سنة.

*** الخليفة الثاني: أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ = ٧٥٣ - ٧٧٥م):**

هو «عبدالله بن محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي»، وكنيته «أبو جعفر».

ولد سنة (٩٥هـ = ٧١٤م) في قرية «الحميمة» بالشام، وتربى وسط كبار الرجال من «بنى هاشم»، فنشأ فصيحاً عالماً بسير الملوك والأمراء، ودرس النحو والتاريخ والأدب شعراً ونثراً وغير ذلك، كما كان كثير الأسفار والتنقل.

ولما تولى أخوه «أبو العباس» الخلافة استعان به في محاربة أعدائه وتصريف أمور الدولة، وكان ينوب عنه في الحج، كما أوصى «أبو

العباس» قبيل وفاته مباشرة بولاية عهده لأخيه «أبي جعفر»، الذي كان غائباً في موسم الحج، فلما توفى «أبو العباس» قام ابن أخيه «عيسى بن موسى» بأخذ البيعة لأبي جعفر من «بنى هاشم» وغيرهم، وأرسل إلى عمه «أبي جعفر» بوفاة أخيه ومبايعته بالخلافة.

ولما وصل «أبو جعفر» إلى «الأنبار» استكمل أخذ البيعة من القادة والرؤساء، ثم خطب فيهم

مبيناً سياسته في إدارة الدولة في النقاط الآتية:

١- زهده في منصب الخلافة، وأنه لم يكن يتطلع إلى ذلك أو يرغب فيه.

٢- وتعهده بتنفيذ ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٣- وتعهده بإقرار العدل ورفع الظلم عن الناس، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها.

يُعدُّ «أبو جعفر المنصور» المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، وقد واجه بحزم واقتدار العديد من المشاكل والثورات حتى نجح في السيطرة عليها والقضاء على القائمين بها، منها: ثورة عمه «عبدالله بن علي»، وتمرد «أبي مسلم الخراساني»، وثورة «محمد النفس الزكية»، وثورات الفرس، وحركات الخوارج.

- أولاً: ثورة عبدالله بن علي:

يُعدُّ «عبدالله بن علي» - عم الخليفة «أبي جعفر المنصور» - من الشخصيات العسكرية البارزة في «الدولة العباسية»، وقد شارك مثل غيره من أفراد البيت العباسي في النشاط العسكري والسياسي حتى قامت «الدولة العباسية»، وتولى إمارة «الشام»، فلما توفى الخليفة الأول «أبو العباس»، رفض «عبدالله بن علي» مبايعة الخليفة الجديد «أبي جعفر المنصور»، وأعلن أنه أحق منه بمنصب الخلافة، وأن

الخليفة «أبا العباس» كان قد وعده بذلك، ولم يكن هذا صحيحاً؛ لأن الخليفة «أبا العباس» كتب وصيته قبل وفاته بتولية أخيه «أبي جعفر» الخلافة، كما أنه لم يرد عن أحد من أفراد البيت العباسي ما يؤيد دعوى «عبدالله بن علي».

وقد أحدث هذا خللاً شديداً في كيان البيت العباسي، فحاول «أبو جعفر» رأب هذا الصدع، وأرسل إلى عمه عدة رسائل يدعوه إلى الدخول في طاعته، ولزوم الجماعة، إلا أن عمه رفض ذلك، فأرسل إليه «أبو جعفر» قائده «أبا مسلم الخراساني» على رأس جيش كبير، ودارت معركة فاصلة بين الجيشين في (جمادى الآخرة سنة ١٣٧هـ = نوفمبر ٧٥٤م)، انتهت بانتصار جيش «أبي مسلم» وفرار «عبدالله بن علي» إلى «البصرة»، ثم استطاع الخليفة «أبو جعفر» إحضاره منها إلى «الكوفة» وسجنه حتى مات سنة (١٤٧هـ = ٧٦٤م).

- ثانياً: تمرد أبي مسلم الخراساني:

اختلفت المصادر التاريخية في بيان أصل «أبي مسلم الخراساني»، والراجح أنه من أصل فارسي، وقد التحق في بداية أمره بخدمة «إبراهيم الإمام» الذي أعجب به ووثق فيه، واستعان به في أموره المهمة، وكان له دور بارز في نجاح الدعوة العباسية، وقيام دولتها.



ورغم الجهود والأعمال التي قام بها «أبو مسلم» فإنه ارتكب بعض الأخطاء الجسيمة في حق الخلافة العباسية منها :

انفراده بالحكم في «خراسان»، وتجاهله شيوخ الدعوة العباسية ونقباءها هناك ، وعدم تنفيذ أوامر الخليفة «أبي العباس» ثم تجاهله لأبي جعفر في مناسبات كثيرة، وتحريضه ابن أخيه «عيسى بن موسى» على الثورة والاستئثار بمنصب الخلافة، وغير ذلك .

وقد حاول الخليفة «أبو جعفر» - في البداية - معالجة الأمور بهدوء، فاستدعى «أبا مسلم» من «خراسان» إلا أنه رفض الحضور فواصل الخليفة مراسلاته، واستعان ببعض الزعماء للضغط على «أبي مسلم»

للحضور إلى مقر الخلافة في «العراق»، إلا أن «أبا مسلم» رفض ذلك، فأرسل الخليفة إليه يهدده ويتوعده إن لم يرضخ ويستجيب لأمر الخلافة، وبعد مشاورات بين «أبي مسلم» وأنصاره استجاب وحضر إلى قصر الخلافة، فعدد عليه الخليفة «أبو جعفر» ما ارتكبه من أخطاء في حق الدولة، ثم أمر بقتله .

- ثالثاً : ثورة محمد النفس الزكية :

هو «محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب»، المعروف بالنفس الزكية، زعيم البيت العلوي والشيعة، ومنذ مقتل الإمام «علي» -

كرم الله وجهه - والشيعة يحاولون الوصول إلى مقعد الحكم عن طريق الثورات والخروج على السلطة، باعتبارهم أصحاب الحق الشرعي .

وبقيام «الدولة العباسية» وتولّى العباسيين الخلافة انتقل صراع العلويين على الخلافة من محاربة الأمويين إلى محاربة أبناء عمومتهم العباسيين .

وعلى الرغم من أن أسرة «محمد النفس الزكية» لم تتخذ موقفاً عدائياً واضحاً في بدء الخلافة العباسية فإن الأمر تغير، حين تولّى

«أبو جعفر المنصور» الخلافة وبدأ يتعقب «محمد النفس الزكية» وأخاه «إبراهيم» اللذين اختفيا وأخذوا يعملان سرا في الدعوة لنفسيهما والخروج على «الدولة العباسية» .

ولما فشل «أبو جعفر المنصور» في القبض على «محمد النفس الزكية» أمر بالقبض على عدد كبير من أفراد أسرته، وحملهم إلى سجون «العراق» وعذبهم لإرغام «محمد النفس الزكية» على الظهور، وقد نجح «أبو جعفر» في ذلك؛ فظهر «محمد النفس الزكية» في «المدينة المنورة» في رجب سنة ١٤٥هـ= سبتمبر ٧٦٢م وقتله العباسيون هناك، كما قتلوا أخاه «إبراهيم»

بالعراق، وكثيراً من أهلها .

- رابعاً : ثورات الفرس : واجهت الخلافة العباسية في عهد «أبي جعفر» عدة ثورات فارسية، كانت تعبيراً عن معارضة بعض العناصر الفارسية للخلافة الإسلامية ومن هذه الثورات :

- حركة سنباذ سنة ١٣٧هـ= ٧٥٤م :

حيث قاد «سنباذ» - وهو أحد أتباع «أبي مسلم» - حركة ثورية للثأر لمقتل «أبي مسلم الخراساني»، ومحاربة الإسلام، وأحسن الخليفة «المنصور» بخطر هذه الحركة فأرسل جيشاً كبيراً استطاع القضاء على قوات «سنباذ» وقتله وهو في طريقه لاجئاً إلى حاكم «طبرستان» .



- حركة الرواندية (١٤١هـ= ٧٥٨م) :

وهم قوم من أهل «خراسان»، سُموا بذلك نسبة إلى قرية «رواند» القريبة من «أصفهان»، وكانوا من أتباع «أبي مسلم الخراساني»، إلا أنهم زعموا أن ربهم الذي يرزقهم ويطعمهم ويسقيهم هو «المنصور»، وأعلنوا إيمانهم بفكرة «تناسخ الأرواح» واستطاعوا دخول مدينة «الهاشمية»، عاصمة الخلافة العباسية آنذاك، وهاجموا قصر الخلافة فتصدى لهم بعض الجنود البواسل، وعلى رأسهم «معن بن زائدة الشيباني»، واستطاعوا القضاء على هذه الحركة .



- حركة استاذ سيسى سنة (١٥٠هـ = ٧٦٧م):

«استاذ سيسى» رجل فارسي ادعى النبوة، وقاد حركة تهدف إلى تخليص بلاد فارس من قبضة العباسيين، واستطاع بجيوشه الضخمة بسط نفوذه على مناطق «سجستان» و«هراة» و«كور خراسان» وغيرها، فحشدت له الخلافة العباسية قوات ضخمة بقيادة «خازم بن خزيمه التميمي»، استطاعت القضاء على هذه الحركة، وانتهى الأمر بالقبض على «استاذ سيسى» وإعدامه.

- خامساً: حركات الخوارج:

نظر الخوارج إلى العباسيين على أنهم مغتصبون للخلافة التي ينبغي أن يتقلدها أجدر المسلمين بها بالانتخاب، بغض النظر عن نسبه، ومن ثم شهد العصر العباسي الأول عدداً من حركات الخوارج، بغرض القضاء على الخلافة العباسية، ومنها:

١ - ثورة ملبد بن حرمله الشيباني سنة (١٣٧هـ = ٧٥٤م) بأرض الجزيرة (ديار بكر):

وشكلت خطراً كبيراً على العباسيين إلا أن قائدهم «خازم بن خزيمه» استطاع القضاء عليها.

٢ - ثورة حسان بن مجالد الهمداني بالموصل سنة (١٤٨هـ =

٧٦٥م): انتهت بالفشل لتفرق أنصاره عنه.

- وفاة المنصور:

تُوفى «المنصور» في (٦ من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ = ٧ من أكتوبر ٧٧٥م)، وهو في طريقه إلى الحج. وقد أشار «ابن الأثير» في كتابه «الكامل في التاريخ» إلى:

أن «المنصور» كان يجعل نهاره لتصرف أمور الدولة، فإذا صلى العصر جلس مع أهل بيته، فإذا صلى العشاء الآخرة جلس ينظر فيما ورد إليه من رسائل البلاد، حتى يمضي ثلث الليل الأول فينام، ثم يقوم في الثلث الأخير فيتوضأ ويصلي حتى يطلع الفجر، فيصلي بالناس، ثم يجلس في ديوانه لتصرف أمور البلاد، وهكذا يقضي وقته.

* الخليفة الثالث: محمد المهدي (١٥٨ - ١٦٩هـ = ٧٧٥ - ٧٨٥م):

هو «محمد بن عبدالله بن محمد» وُلد بالحميمة سنة (١٢٦هـ = ٧٤٣م)، وقد هياه والده «المنصور» وأعدده ليكون جديراً بمنصب الخلافة من بعده، فنشأ على ثقافة عربية واسعة، ودراية بفنون الحرب وأساليب الإدارة.

وقد أوصى «المنصور» ابنه وولي عهده «محمدًا» وصية جامعة، قبيل وفاته تضمنت:

- ١ - التمسك بأن تظل «بغداد» عاصمة للخلافة.
- ٢ - والاهتمام بأهل بيته وحاشيته وأهل «خراسان» لدورهم في قيام الدولة.
- ٣ - وتقوى الله وإبعاد النساء عن السياسة.
- ٤ - وتجنب إهدار دماء المسلمين، ومعاقبة المفسدين والملحدين وتبعضهم.

٥ - والاستعداد المستمر بالقوة والسلاح، وأن يباشر الأمور بنفسه.

وعقب وفاة «المنصور» ببيع «المهدي» بيعة خاصة من قبل الزعماء بمكة، ثم بايعه جمهور المسلمين في «بغداد» في ذي الحجة سنة (١٥٨هـ = أكتوبر ٧٧٥م). - سياسة المهدي العامة:

اختلفت سياسة «المهدي» عمن سبقه، فاتسم عهده بالاستقرار والهدوء والتسامح والصفح، فأطلق سراح المسجونين السياسيين، واهتم



بإقرار العدل بين الناس، وجلس للنظر في مظالم الناس مستعيناً بالقضاة، وأمر بالإنفاق على مرضى الجذام؛ حتى لا يختلطوا بالناس فتصيبهم العدوى، كما اهتم اهتماماً خاصاً بالحرمين الشريفين وبكسوة «الكعبة».

وقد عفا «المهدي» عن بعض آل البيت ومنحهم الأموال والإقطاعات، وحينما أدى فريضة الحج سنة (١٦٠هـ = ٧٧٧م) وزع أموالاً كثيرة على أهل «مكة» و«المدينة»؛ وأصدر عفواً عاماً عمن عاقبهم «المنصور» من أهل «الحجاز»؛ لمشاركتهم في الثورة العلوية، واختار خمسمائة من رجال الأنصار وكونهم حرسه الخاص، كما قام ببث العيون والجواسيس بالبلاد لرصد أي تحرك معاد للدولة. ورغم ذلك فقد حاول بعض العلويين مثل «عيسى بن زيد ابن علي» و«علي بن العباس بن الحسن» القيام بثورة ضد الخلافة العباسية، لكنها لم تنجح؛ حيث عاجلها الموت.

- وفاة المهدي: تُوفى «المهدي» سنة (١٦٩هـ = ٧٨٥م) وعمره ثلاث وأربعون سنة، وقد قضى في الحكم إحدى عشرة سنة.

- سياسة المهدي تجاه الخوارج: واجه «المهدي» عدة ثورات من الخوارج وقضى عليها بحزمه وسرعة مواجهته، منها:

١ - ثورة «يوسف بن إبراهيم

البرم» في «خراسان» سنة (١٦٠هـ = ٧٧٧م).

٢ - حركة «عبد السلام بن هاشم اليشكري» في «قنشرين» سنة (١٦٠هـ = ٧٧٧م).

٣ - حركة الخوارج بالموصل بزعامة «ياسين الموصلى التميمي» سنة (١٦٨هـ = ٧٨٤م).

- الحياة الاجتماعية في عهد المهدي:

ترك «المنصور» بعد وفاته في بيت المال أربعة عشر مليون دينار وستمئة مليون درهم، قام «المهدي» بتوزيعها على الناس؛ فشاع بينهم الترف والنعيم واللهو واللعب، كما اتبعه الناس في حبه للآداب والفنون؛ فارتقت الآداب والفنون، وسادت بين طبقات الشعب. وكان «المهدي» أول خليفة يُحمل إليه الثلج إلى «مكة» في الحج، كما كان مترقاً في ملبسه ومأكله.

- وفاة المهدي:

تُوفى «المهدي» سنة (١٦٩هـ = ٧٨٥م) وعمره ثلاث وأربعون سنة، وقد قضى في الحكم إحدى عشرة سنة.



* الخليفة الرابع : موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠ هـ = ٧٨٥ - ٧٨٦ م):

هو «موسى» ابن الخليفة «المهدي»، تولى الخلافة في (٢٢) من المحرم سنة ١٦٩ هـ = ٥ من أغسطس (٧٨٥ م).

- سياسته:

اتصف الخليفة «الهادي» بالغيرة والشهامة والجرأة، ورفض تدخل أمه «الخيزران» في سياسة الدولة كما كانت تفعل في عهد والده «المهدي».

وقد واجه «الهادي» مشاكل خطيرة على رأسها ثورة البيت العلوي بقيادة «الحسين بن علي بن الحسن» في «المدينة» سنة (١٦٩ هـ = ٧٨٥ م) إلا أن «الهادي» أرسل جيشاً على وجه السرعة نجح في القضاء عليها في (٨ من ذي الحجة سنة ١٦٩ هـ = ١١ من يونيو ٧٨٦ م) وحاول «الهادي» نقل ولاية العهد من أخيه «الرشيد» إلى ابنه «جعفر»، الذي لم يكن قد بلغ الثامنة من عمره مخالفاً وصية والده في ترتيب ولاية العهد، إلا أن الموت عاجله فلم يتحقق له ما أراد.

- وفاته:

توفي «الهادي» ليلة الجمعة، نصف ربيع الأول سنة (١٧٠ هـ = نصف أغسطس ٧٨٦ م) وبذلك تكون مدة خلافته سنة وشهراً واثنتين وعشرين يوماً.

* الخليفة الخامس : هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ = ٧٨٦ - ٨٠٩ م):

هو «هارون بن محمد المهدي»، وُلد بالري في آخر ذي الحجة سنة (١٤٥ هـ = فبراير ٧٦٣ م)، وتولى الخلافة في الليلة التي مات فيها أخوه «الهادي» وعمره اثنان وعشرون عاماً.

ويُعدُّ «الرشيد» أشهر خلفاء

العباسيين وأبعدهم صيتاً، فقد ملأت أخباره كتب التاريخ شرقاً وغرباً.

- سياسته العامة:

لما استقر «الرشيد» في «بغداد» عاصمة الخلافة العباسية قلَّد «يحيى البرمكي» منصب الوزارة وفوضه في إدارة شئون البلاد، ومنحه لقب «أمير»؛ فكان أول من لُقِّب بذلك من الوزراء الفُرس في «الدولة العباسية».

اهتم «الرشيد» بإقامة العدل في الناس، فأمر بإعادة الأراضي التي اغتصبها أهل بيته في عهد الخلفاء السابقين إلى أصحابها، ورفع الظلم عن المسجونين ظلماً، وقسم أموال ذوى القربى بين «بنى هاشم» كلهم بالعدل، وأصدر عفواً عن المعتقلين السياسيين، فأخرج من كان في السجن من العلويين، وسمح لهم بالعودة إلى «المدينة»، ومنحهم الرواتب، كما أجرى «الرشيد» تعديلات واسعة في مناصب الدولة في كل من «مكة» و«المدينة» و«الطائف» و«الكوفة» و«خراسان» و«أرمينية» و«الموصل».

- موقفه من الشيعة:

حاول «الرشيد» في الأعوام الأولى من خلافته مسالمة العلويين والعفو عنهم، إلا أنه كان يخشى خطورة اثنين منهم فرأى عقب موقعة «الفخ» أما أولهما فهو «إدريس بن عبدالله» الذي نجح في الوصول إلى «المغرب الأقصى» وكون «دولة الأدارسة»، وأما الآخر فهو «يحيى



ابن عبدالله» الذي فرَّ إلى «بلاد الديلم» وتجمع حوله المتشيعون لآل البيت، فأرسل إليه «الرشيد» جيشاً بقيادة «الفضل بن يحيى»؛ لإرجاعه إلى حظيرة الخلافة، فعاد به إلى «بغداد» حيث لقيه «الرشيد» بكل ما أحب، إلا أن الحاسدين سرعان ما وشوا به عند الخليفة بسبب قيام الكثير من العلويين بزيارته والتودد إليه، فأمر «الرشيد» بسجنه حتى مات. وقد استطاع بعض رجال الحاشية الذين يكون العداء للبيت العلوي تعميق خوف «الرشيد» من زعماء البيت العلوي واستغلال ذلك للقضاء عليهم، كما حدث مع «موسى الكاظم»؛ حيث أمر «الرشيد» بحبسِه حتى أدركه الموت.

- موقفه من الخوارج:

واصل الخوارج نشاطهم العسكري ضد الخلافة العباسية في عهد «الرشيد»، فقام «الوليد بن طريف الخارجي» بحركة تمرد وعصيان في «العراق» واستولى على أماكن عديدة، إلا أن «الرشيد» أرسل إليه جيشاً بقيادة «يزيد الشيباني» استطاع القضاء على هذه الحركة وقتل قائدها في رمضان سنة (١٧٩ هـ = نوفمبر سنة ٧٩٥ م).



- موقفه من البرامكة :

تمتع البرامكة في بداية عهد «الرشيد» بالسلطة والجاه والنفوذ، وتقلدوا مناصب الدولة المهمة، حتى إذا جاء شهر صفر سنة (١٨٧هـ = يناير ٨٠٣م) أمر «الرشيد» بسجنهم، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، فيما عرف في التاريخ بنكبة البرامكة .

وقد تضافرت عدة عوامل كانت سبباً فيما فعله «الرشيد» بالبرامكة، منها:

١ - اتهامهم بالزندقة والخروج عن الإسلام باعتبارهم من أصل مجوسى .

٢ - محاولتهم إبعاد العرب عن المناصب المهمة وتقديمهم الفرس لشغلها .

٣ - استبدادهم بالأموار وإظهارهم ما لا تحتمله نفوس الملوك .

٤ - قيام الحاسدين والحاquدين بتضخيم أخطاء «البرامكة» .

٥ - أن «الرشيد» كلف «جعفر ابن يحيى البرمكى» بقتل رجل من آل «أبى طالب» فلم يفعل .

- المجتمع في عهد الرشيد:

ازدهر المجتمع في عهد «الرشيد» اقتصاديا وثقافيا وعلميا وعمرانيا .

فقد تدفقت الأموال من كل مكان، واتسعت رقعة الدولة واستقر الأمن بها وازدهرت التجارة، وأصبحت «بغداد» قبلة للطامحين

في الثراء والترف، كما قصدها النوايغ والعباقرة والصناع المهرة من سائر الشعوب، وشيدت فيها القصور الرائعة والمساجد الكبيرة، وانتشرت الحدائق العامة، والأسواق المتخصصة كسوق الذهب والنحاس، والنسيج وغير ذلك .

وكان «الرشيد» على قدر عال من الثقافة والمعرفة، واجتمع عنده أقطاب العلم والعمل والسياسة والحرب مثل «أبى يوسف» تلميذ

الإمام «أبى حنيفة»، و«الأصمعى» الراوية المشهور، و«أبى العتاهية» و«أبى نواس» من الشعراء، وداوية السياسة «يحيى البرمكى» وابنيه «الفضل» و«جعفر»، ومن المغنين «إبراهيم الموصلى» وابنه «إسحاق»، ومن الموسيقيين «زلزل» و«برصوم»، وغيرهم من أمراء العباسيين القادة والخطباء والشعراء والساسة .

- وفاة الرشيد :

أثناء سفر «الرشيد» من «بغداد»

إلى «خراسان» اشتد المرض عليه، وتوفي صباح يوم الجمعة (٢ من جمادى الآخرة ١٩٣هـ = ٢٣ من مارس ٨٠٩م)، وعمره خمس وأربعون سنة .

وقد حكم «الرشيد» البلاد ثلاثة وعشرين عاماً، بلغت فيها «الدولة العباسية» ذروة مجدها . وقد تحدث عنه كثير من المؤرخين، فقال عنه

«الطبرى»: «غزا سبع مرات، وجهز عشرين حملة للجهاد فى البر والبحر». وقال عنه «ابن خلكان»: «حج فى خلافته تسع حجج، وكان يصلى فى اليوم مائة ركعة» .

* الخليفة السادس : محمد الأمين (١٩٣ - ١٩٨هـ = ٨٠٩ - ٨١٣م):

هو «محمد بن هارون الرشيد»،

وكانت الخطوة التالية قيام «الأمين» بتعيين ابنه «موسى» ولياً للعهد بدلاً من أخويه «المأمون» و«المؤتمن»، فقام «المأمون» بإسقاط اسم «الأمين» من الطرز والسكّة، ومنع البريد من الوصول إليه بأخبار «خراسان»، ثم طلب من أخيه «الأمين» أن يرد إليه مائة ألف دينار كان والده «الرشيد» قد أوصى بها إليه فرفض «الأمين»، ثم تطور الصراع بينهما إلى المواجهة العسكرية، فجهز «الأمين» جيشاً بقيادة «على بن عيسى بن ماهان»، وجهز «المأمون» جيشاً ضخماً بقيادة «ظاهر بن الحسين»، ودارت عدة معارك بين الجيشين انتهت بمحاصرة «بغداد» ومقتل «الأمين» سنة (١٩٨هـ = ٨١٣م)، وقد دامت خلافة «الأمين» أربع سنوات وثمانية أشهر وخمسة أيام .



* الخليفة السابع: عبدالله المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ = ٨١٣ - ٨٣٣م)

هو «عبدالله بن هارون الرشيد»، وُلد في منتصف ربيع الأول سنة (١٧٠هـ = أغسطس ٧٨٦م) وأمه «أم ولد» فارسية تُسمى «مراجل»، وكان يكنى «أبا العباس»، ويُلقب بالمأمون. نشأ «المأمون» نشأة إسلامية، وتلقى العلوم العربية، وتدرَّب على فنون القتال والنزال وقيادة الجند، كما أسند والده «الرشيد» إلى وزيره «جعفر البرمكي» مهمة الإشراف على تنشئته، وقد أظهر المأمون نبوغاً خلال دراسته.

ولما تولى «المأمون الخلافة» عزم أن يقدم القدوة الصالحة والسيرة الحسنة في الناس حتى يقتدى به رجال دولته، وكان يقول: «أول العدل أن يعدل الملك في بطانته، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ إلى الطبقة السفلى». كما اتصف «المأمون» بالعفو والحلم حتى اشتهر بذلك وهو القائل: «لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا إلىّ بالجرائم، وأخاف ألا أؤجر عليه». يعني لكونه طبعاً له يستلذ به.

- سياسة المأمون:

انتهج «المأمون» سياسة واعية تقوم على أسس واضحة منها:

١ - تأليف القلوب بالعفو والعطاء، وقد عد «اليعقوبي» سبع عشرة حادثة يستحق صاحب كل واحدة منها القتل عند أمثال «المنصور»، لكنها قوبلت عند «المأمون» بالعفو.

٢ - العناية بالعلم والعلماء كان للمأمون ولع بالأمور العلمية والفلسفية، فكان يعقد مجالس المناظرة ويبعث في طلب العلماء والأعلام من «بيزنطة» لحضورها،

وكان يتصيد الكتب النادرة ويدفع فيها المبالغ الطائلة، ويجعل حصوله عليها شرطاً من شروط الهدنة ووقف القتال مع الروم، كما أقام «بيت الحكمة» وجعل فيها مكتبة ضخمة، وجهازاً كبيراً للترجمة من مختلف اللغات إلى اللغة العربية، حشد له نحو سبعين مترجماً.

- المأمون والشيعة:

جمعت سياسة «المأمون» تجاه الشيعة بين أمرين هما السخط والرضا.

أما العنف فقد تمثل في سياسة «المأمون» تجاه الثورات الشيعية

المسلحة التي اندلعت في عدة أماكن، مثل حركة «ابن طباطبا العلوي» سنة (١٩٩هـ = ٨١٤م)، وحركة «الحسين بن الحسن» في «الحجاز»، وحركة «عبد الرحمن بن أحمد» في «اليمن» سنة (٢٠٧هـ = ٨٢٢م)، وقد انتهت هذه الحركات بالفشل في تحقيق أغراضها.

وأما الرضا فقد تمثل في قيام «المأمون» باختيار أحد أبناء البيت العلوي وهو «علي بن موسى الرضا» ليكون ولي العهد من بعده. وهو ما لم يفعله أحد من خلفاء «بنو العباس» قبله وقد اختلف المؤرخون في تعليل قيام «المأمون» بهذا الأمر، فمنهم من فسر ذلك بميول «المأمون» الشيعية وحرصه على تولية أفضل العناصر ولاية العهد، وآخرون أرجعوا ذلك إلى تأثير «الفضل بن سهل» وميوله الشيعية.

وقد أحدثت بيعة «المأمون» لعلی ابن موسى الرضا بولاية العهد ردود فعل عنيفة في أنحاء «الدولة العباسية» فرفض أفراد البيت العباسي ومؤيدوهم هذه البيعة، وبايعوا «إبراهيم بن المهدي» عم «المأمون» بالخلافة سنة (٢٠٢هـ = ٨١٧م) ولما علم «المأمون» بذلك وهو في «مرو» بخراسان تحرك قاصداً «بغداد» لمعالجة الموقف، وأثناء ذلك مات «علي الرضا» ولي العهد، فهدأ الموقف، وهرب «إبراهيم بن المهدي» من «بغداد»، ودخلها «المأمون»، ثم عفا عنه.

- المأمون والفرس:

يمكن تقسيم نشاط الفرس في عهد المأمون إلى قسمين: ١ - نشاط سياسي ٢ - نشاط عسكري.

ويتمثل النشاط السياسي في الدور الذي لعبه «بنو سهل» مع «الخليفة المأمون»، وهو يشبه تماماً دور البرامكة مع «هارون الرشيد»، حيث سلم «المأمون» «الفضل بن سهل» مقاليد الأمور، فصارت مهام الدولة في يده، وبدأ في إبعاد العناصر العربية من بلاط «المأمون»، وتعصب للعنصر الفارسي، وارتكب مجموعة أخرى من الأخطاء؛ مما جعل «المأمون» يفكر في التخلص منه، فقتل أثناء سفر «المأمون» إلى «بغداد».

أما النشاط العسكري فيتمثل في حركة «بابك الخرمي»^(١)، التي تُعدُّ أخطر الحركات الفارسية المعادية للخلافة العباسية، فقد استمرت ما يزيد على عشرين عاماً واتسمت بدقة التنظيم وبراعة القيادة، والاتصال السياسي بالأكراد والأرمن وغيرهم، وكانت تؤمن بمبادئ هدامة منها:

١ - الإيمان بالحلول والتناسخ حتى إن زعيمها «بابك» ادَّعى الألوهية.

٢ - المشاعية المزدكية في الأموال والأعراض.

٣ - ضرورة التخلص من السلطان العربي والدين الإسلامي.



وقد ألحقت هذه الحركة العديد من الهزائم بالجيش العباسي ولم يتم القضاء عليها إلا في عهد «المعتصم بالله».

- وفاة المأمون :

ظل «المأمون» خليفة للمسلمين عشرين سنة وخمسة أشهر وعشرين يومًا، وقد تُوفي في (١٨ رجب سنة ٢١٨هـ = ٨٣٣م).

* الخليفة الثامن : المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧هـ = ٨٣٣ - ٨٤٢م) :

هو «محمد بن هارون الرشيد»، وُلد في شعبان سنة (١٨٠هـ = أكتوبر ٧٩٦م)، وأمه جارية تركية اسمها «مارده»، وقد تولى الخلافة عقب وفاة أخيه «المأمون».

كان «المعتصم» يتميز ببقوته الجسمية وشدته في الحرب، حتى قيل عنه أنه كان يصارع الأسود ويحمل ألف رطل يمشى بها خطوات ويشد على الدينار بأصبعه، السبابة والوسطى فيمحو كتابته، وقال عنه المؤرخون : إنه لم يكن في «بنى العباس» قبله أشجع منه ولا أتم تيقظًا ولا أشد قوة.

ومع ذلك فقد كان «المعتصم» على خلاف أخويه «الأمين» و«المأمون» في العلوم والآداب، فقد كان قليل البضاعة منهما، حتى ذكر بعض المؤرخين أنه نشأ أميًا لا يكتب، أو أنه كان ضعيف الكتابة على حد قول «ابن خلكان» و«ابن كثير».

المتنوعة الملتوية بمدينة سامراء



- سياسة المعتصم :

تركية. إلا أن كثرة الأتراك سببت أضرارًا كبيرة لسكان «بغداد»، مما دفع «المعتصم» إلى البحث عن مكان جديد يكون عاصمة له فوق الاختيار على المكان الذي بنيت عليه مدينة «سُرَّ من رأى» (سامراء حاليا) التي بدئ البناء فيها سنة (٢٢١هـ = ٨٣٦م)، ويتميز موقعها بميزات سياسية واقتصادية وعسكرية، فمن الناحية السياسية

اختلفت الأوضاع السياسية في عهد «المعتصم» عن عهد من سبقه، بسبب ظهور عوامل جديدة على مسرح الأحداث، كان في مقدمتها ظهور العنصر التركي قوة مؤثرة في حركة الأحداث؛ فتمتع الأتراك بصفات عسكرية كالشدة والقوة والتحمل جعل «المعتصم» يستكثر منهم، يضاف إلى ذلك أن أمه

السابقين، وإنما حدثت بعض الحركات الضعيفة، ومنها:

حركة «محمد بن القاسم» المعروف بالصوفي، سنة (٢١٩هـ = ٨٣٤م) والذي تحرك في عدة أماكن كالحجاز و«الكوفة» ثم استقر في «خراسان» وشكلت حركته خطرًا على «الدولة العباسية»، فكلف «المعتصم» واليه على «خراسان» «عبدالله بن طاهر» بالتصدي لهذه الحركة؛ حيث نجح في القضاء عليها.

- وفاة المعتصم بالله سنة (٢٢٧هـ = ٨٤١م):
تُوفي «المعتصم بالله» في شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ = ديسمبر (٨٤١م)، وقد أطلق عليه بعض المؤرخين «المُثْمَن»، لأن خلافته دامت ثمانين سنة وثمانية أشهر ويومين، ومولده في الشهر الثامن من العام الهجري، ومات عن ثمانية بنين وثمانين بنات.

فإنها في موقع متوسط يسهل الاتصال بأنحاء الدولة، ومن الناحية الاقتصادية فإن موقعها يسهل عمليات التبادل التجاري بين النواحي الشمالية والجنوبية، وعسكريًا فإن إحاطة المياه بها يجعلها في مأمن من أي عدوان خارجي.

ومن الأعمال العظيمة التي تنسب إلى «المعتصم بالله» نجاحه في القضاء على ثورة «بابك الخرمي»، فحينما تولى أمر البلاد جهز جيشًا بقيادة «الأفشين» وزوده بكل أدوات القتال وبالمال اللازم؛ حيث دارت عدة معارك، انتهت بالقبض على «بابك الخرمي» وإعدامه.

- المعتصم والشيعة :

لم تظهر في عهد «المعتصم» حركات علوية مؤثرة كالحركات التي حدثت في عهد الخلفاء

* الخليفة التاسع : الواثق بالله:

(٢٢٧ - ٢٣٢هـ = ٨٤١ - ٨٤٧م) هو «هارون بن المعتصم بالله»، يكنى «أبا جعفر» وأمه أم ولد رومية تُسمى «قراطيس»، وكان فطنًا لبيًا فصيحًا ينظم الشعر ويحب الموسيقى.

وقد تولى «الواثق بالله» الحكم يوم وفاة والده «المعتصم».

- سياسة الواثق بالله:

وتظهر ملامح تلك السياسة فيما يلي :

أولاً: تمسكه بمذهب المعتزلة، حتى جعله المذهب الرسمي للدولة، مما أثار أهل السنة ضده، إلا أنه تصدى لهم وقبض على زعمائهم.

ثانيًا: تقريبه للأتراك جريًا على سياسة والده «المعتصم»، حتى إنه قسم البلاد بين رجلين من الأتراك،





الأول «أشناس» وأعطاه الشطر الغربي من الدولة إلى آخر «بلاد المغرب»، والثاني قائده «إيتاخ» وأعطاه الشطر الشرقي: «دجلة» و«فارس» و«السند»، وكان كل منهما يعين الولاة الذين يريدون هذا بالإضافة إلى عدد من القادة الأتراك الذين شغلوا مناصب خطيرة، مثل: «وصيف التركي» الذي أوكل إليه «الوائق» القضاء على ثورة المتمردين الأكراد، و«بغا الكبير» الذي أخمد ثورة الأعراب بنواحي «المدينة».

وكان الوائق يصدق عليهم الأموال والهدايا.

ثالثاً: مصادرة أموال كبار الموظفين، مثل «أحمد بن إسرائيل»، الذي أخذ منه ثمانين ألف دينار، و«سليمان بن وهب» كاتب «إيتاخ»، الذي أخذ منه أربعمئة ألف دينار، وغيرهما، مما ترك آثاراً سيئة في الجهاز الإداري والاستقرار المالي للدولة، وأصابهما بالفساد والخلل.

رابعاً: إحسانه إلى بعض طوائف الأمة، وفي مقدمتهم العلويون حيث أغدق عليهم الأموال.

* وفاة الوائق بالله:

استمر «الوائق» في مقعد الخلافة خمس سنين وتسعة أشهر، ثم أصيب بمرض الاستسقاء، ومات في (ذى الحجة سنة ٢٣٢هـ = يوليو ٨٤٧م)، وعمره اثنان وثلاثون عاماً، وقيل: ستة وثلاثون.

السماوات العامة

للعصر العباسي الأول

(١٣٢ - ٢٣٢هـ = ٧٤٩ - ٨٤٧م):

امتد العصر العباسي الأول مائة سنة، تولى الخلافة خلالها تسعة خلفاء، بدءاً من «أبي العباس» وانتهاءً بالوائق بالله، ويمكن تقسيم هذا العصر إلى ثلاثة عهود رئيسية:

١ - عهد التأسيس من سنة (١٣٢هـ = ٧٤٩م إلى ١٥٨هـ = ٧٧٥م) ويشمل خلافة «أبي العباس» و«المنصور».

٢ - عهد الاستقرار:

(١٥٨هـ = ٧٧٥م إلى ٢١٨هـ = ٨٣٣م) ويشمل خلافة «المهدي» و«الهادي» و«الرشيد» و«الأمين» و«المأمون».

٣ - عهد القلق: من سنة (٢١٨هـ = ٨٣٣م إلى ٢٣٢هـ = ٨٤٧م)، ويشمل «المعتصم بالله» و«الوائق بالله».

ويتميز العصر العباسي الأول بالسماوات الآتية:

أولاً: كثرة الصراعات: ومن ذلك:

١ - الصراع بين العرب - ومنهم أسرة الخلافة - والفرس - ومنهم الوزراء والإداريون وغيرهم -

مثلما حدث بين «الرشيد» و«البرامكة»، و«المأمون» و«بني سهل».

٢ - الصراع بين فروع البيت الهاشمي: العباسيين، والعلويين، مثلما حدث بين الخليفة «المنصور» و«محمد النفس الزكية».

٣ - الصراع بين الخلافة العباسية والحركات المعادية لها من العرب وغيرهم، وقد تمثل ذلك في حركات الخوارج.

٤ - الصراع بين الإسلام - الدين الرسمي للدولة - وبين العقائد الأخرى التي ظهرت في بلاد فارس كالحُرْمِيَّة وغيرها من العقائد الفاسدة.

ثانياً: اتساع العلاقات الخارجية:

فقد بسطت الخلافة العباسية سلطانها على بلاد كثيرة شرقاً وغرباً، وتعددت علاقاتها مع الدول الأخرى وفي مقدمتها:

أ - الدولة البيزنطية:

وكانت العدو التقليدي للدولة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ، وقد اشتد هذا العداء بعد استيلاء المسلمين على بعض المناطق التي كانت خاضعة للدولة البيزنطية، كالشام و«مصر» و«المغرب».

وخلال العصر العباسي الأول حدث الاحتكاك المباشر بين القوات

الإسلامية والبيزنطية على الحدود الشمالية في منطقة «الشام»، فقد استغلت «الدولة البيزنطية» انشغال الخليفة العباسي الأول «أبي العباس» عبد الله بن محمد»، بتثبيت أركان الدولة سنة (١٣٢هـ = ٧٤٩م)، وقامت بمهاجمة الحصون والثغور الإسلامية؛ فأمر الخليفة «أبو العباس» واليه على «الشام» بالإعداد لمواجهة البيزنطيين، ولكن الموت عاجله، وجاء «المنصور» فأمر بتحسين الثغور وإعادة بناء ما هدمه البيزنطيون، وجعل لها حكماً إدارياً مستقلاً، وحشد فيها آلاف المقاتلين والمرابطين في سبيل الله.

وكانت هذه الثغور تنقسم إلى قسمين :

١ - الثغور الجزرية: للدفاع عن الجزيرة الفراتية وشمال «العراق» وأهم حصونها «ملطية» و«المصيصة»، و«مرعش».

٢ - الثغور الشامية، وتقع غرب الثغور الجزرية، وهى للدفاع عن «الشام»، وأهم حصونها «طرسوس»، و«أدنة».

وفى سنة (١٦٢هـ=٧٧٩م) أرسل «المهدى» جيشاً ضخماً بقيادة «الحسن بن قحطبة»، فتوغل فى بلاد الروم ونشر الرعب بين صفوفهم.

وفى سنة (١٦٣هـ=٧٨٠م) خرج «المهدى» بنفسه على رأس الجيش متجهاً إلى الحدود البيزنطية، ووصل إلى «الموصل» ثم «حلب»؛ حيث ترك ابنه «هارون الرشيد» ليتابع جهاده ضد البيزنطيين، وفى عهد «الرشيد» (١٧٠-١٩٣هـ=٧٨٦-٨٠٩م) أمر بجعل منطقة الثغور منطقة مستقلة باسم «الثغور والعواصم» وأقام خطين للدفاع عن حدود الدولة مع البيزنطيين، الخط الأول هو الثغور والخط الثانى إلى الجنوب من الخط الأول، ويُسمى: العواصم.

كما قام «الرشيد» ببناء حصون جديدة، مثل «عين زرية»، و«زبطرة» وغيرهما. وقد حاول «نقفور» إمبراطور «الدولة البيزنطية» الامتناع عن دفع الجزية للخلافة العباسية، فأرسل إليه «الرشيد» يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام». وخرج «الرشيد» بنفسه على رأس جيش ضخم ألحق الهزيمة بالقوات البيزنطية وأرغم الإمبراطور «نقفور» على الخضوع ودفع الجزية مرة أخرى.

ونظراً لكثرة المعارك بين العباسيين والبيزنطيين، فقد وقع كثير من جنود الطرفين أسرى، وقد حرصت الخلافة العباسية على فداء أسرى المسلمين، فى عهد «الرشيد» سنة (١٨١هـ=٧٩٧م). وقد سار «المأمون» (١٩٨-٢١٨هـ=٨١٣-٨٣٣م) على



سياسة والده نفسها، فى استمرار النشاط العسكرى ضد البيزنطيين، وكان النصر حليف المسلمين. وتعدُّ معركة «عمورية» سنة (٢٢٣هـ=٨٣٨م)، أبرز المعارك بين المسلمين والبيزنطيين فى عهد «المعتصم بالله»، وكان سببها اعتداء الإمبراطور البيزنطى «تيوفيل بن ميخائيل» على بعض الثغور والحصون على حدود «الدولة الإسلامية»، وحين بلغ «المعتصم» ما وقع للمسلمين فى هذه المدن، وصيحة امرأة مسلمة وقعت فى أسر الروم: وامعتصماه، فأجابها وهو جالس على سريريه لبيك لبيك، وجهز جيشاً ضخماً أرسله على وجه السرعة لإنقاذ المسلمين، ثم خرج بنفسه على رأس جيش كبير وفتح مدينة «عمورية»، وهى من أعظم المدن البيزنطية، واستولى على ما بها من مغانم وأموال كثيرة جدا.



ب - الدولة الأموية بالأندلس:

وكانت علاقة العباسيين بها علاقة عداوة وتربص، فقد استطاع «عبدالرحمن بن معاوية» بعد فراره من العباسيين إلى «الأندلس»، أن يؤسس «الدولة الأموية» بالأندلس وعاصمتها «قرطبة» سنة (١٣٨هـ = ٧٥٥م).

وقد حاولت الخلافة العباسية بسط نفوذها على بلاد «الأندلس»

والقضاء على «الدولة الأموية» بها. فدبر «أبو جعفر المنصور» ثورة «العلاء بن مغيث الجذامي» في مدينة «باجة» الأندلسية سنة (١٤٦هـ = ٧٦٣م)، وقام «المهدي» بمساندة الثورات الداخلية التي كانت تقوم لحساب «الدولة العباسية»، ولكن كل هذه المحاولات والثورات باءت بالفشل بسبب يقظة الأمير الأموي «عبد الرحمن

الداخل» وحزمه، وقد لقبه «أبو جعفر المنصور» بصقر قريش. بل إن «عبدالرحمن الداخل» أشاع عزمه على غزو «الشام» وانتزاعه من «الدولة العباسية»، وكتب إلى أنصاره في «الشام» بذلك وعهد إلى ابنه «سليمان» بولاية «الأندلس»، وذلك بغرض إزعاج «الدولة العباسية» وإرغامها على وقف محاولاتها المستمرة لاسترداد بلاد «الأندلس».

ج - الدولة الكارولنجية:

وكانت إحدى القوى الناشئة في غرب «البحر المتوسط» (جنوب فرنسا حالياً). وقام بينها وبين الدولة العباسية علاقات سياسية،

وجرى تبادل السفراء بين الدولتين في عهد «هارون الرشيد»، وقد سعى زعيم «الدولة الكارولنجية» «شارلمان» إلى كسب وده لتعزيز موقفه الداخلي والخارجي، وتبادل معه الهدايا الثمينة.

الأوضاع الحضارية: وتشمل:

* أولاً: النظام السياسي والإداري، ويشمل:

أ - الخلافة:

وقد أقام العباسيون دولتهم سنة (١٣٢هـ = ٧٤٩م) وتولى أول خلفائهم «أبو العباس عبدالله بن محمد» السلطة بناءً على وصية

أخيه «إبراهيم الإمام» بعد وقوعه في قبضة الأمويين، وقد حكم «أبو العباس» أربع سنوات، وقبيل وفاته عهد إلى أخيه «أبي جعفر المنصور» بولاية العهد من بعده، ومن بعد «أبي جعفر»، «عيسى بن موسى»، وكتب العهد بهذا وصره في ثوب وختم عليه بخاتمه وخواتم أهل بيته وسلمه إلى «عيسى بن موسى».

ومن هنا نلاحظ أن الحكم قد بدأ وراثياً في عهد «الدولة العباسية» منذ اللحظة الأولى، واقتصر على أهل البيت العباسي، كما أن أكثر الخلفاء كان يوصى بولاية العهد إلى أكثر من شخص؛ مما أدى إلى صراعات ساعدت على تصدع «الدولة العباسية».

وحين تولى «أبو جعفر المنصور» الخلافة واجه اعتراضاً من عمه «عبدالله بن علي» الذي رفض مبايعته، ودعا لنفسه بالخلافة مدعياً أنه ولي عهد «أبي العباس»، مما دعا «المنصور» إلى توجيه جيش له بقيادة «أبي مسلم الخراساني» تمكن من القبض عليه والقضاء على دعوته.

وقد نقل «المنصور» ولاية العهد من ابن أخيه «عيسى بن موسى» إلى ابنه «محمد»، الذي تولى الخلافة بعد أبيه «المنصور» سنة (١٥٨هـ = ٧٧٥م) ولقب بالمهدي،

واستمر في منصبه حتى توفى سنة (١٦٩هـ = ٧٨٥م)؛ حيث تولى ابنه «موسى» الملقب بالهادي، ولم يمكث سوى سنة واحدة في الحكم؛ حيث تولى من بعده أخوه «هارون الرشيد»، ومنذ عهد «الرشيد» أصبح الصراع السياسي على السلطة إحدى السمات المميزة للعصر العباسي الأول، وكان الصراع بين «الأميين» و«المأمون» من الأمثلة المعبرة عن هذه السمة، وقد انتهى بقتل «الأميين» وتولية «المأمون» الخلافة.

ب - الوزارة:

تعد الوزارة المنصب الثاني بعد الخلافة في «الدولة العباسية» وقد قسّم فقهاء المسلمين الوزارة إلى نوعين:

- وزارة التفويض:

حيث يفوض الخليفة الوزير في تدبير أمور الدولة برأيه واجتهاده، فتكون له السلطة المطلقة في الحكم والتصرف في شئون الدولة.

- وزارة التنفيذ:

حيث يكون الوزير وسيطاً بين الخليفة والرعية والولاة، ومجرد منفذ لأوامر الخليفة.

وقد أحدث العباسيون نظام الوزارة في بداية دولتهم متأثرين في



ذلك بالنظم الفارسية، ولم تكن مسئوليات الوزير فى بداية الأمر تبعد كثيراً عن مسئوليات الكاتب، وقد حصر «أبو جعفر المنصور» مهمة الوزير فى التنفيذ وإبداء رأى والنصح، ولم يكن له وزير دائم، ومن وزرائه: «الربيع بن يونس» الذى اشتهر باللباقة والذكاء وحسن التدبير والسياسة.

وقد ظهرت شخصية الوزراء إلى حد كبير فى عهد الخليفة «المهدى»، لما ساد الدولة من هدوء نسبي، ومن هؤلاء الوزراء الأقوياء «يعقوب ابن داود». ثم صار للوزارة شأن كبير فى عهد «الرشيد»، و«المأمون» لاعتماد الأول على البرامكة، والثانى على «بنى سهل»، فمُنح «يحيى البرمكى» وزير «الرشيد»، و«الفضل بن سهل» وزير «المأمون» صلاحيات وسلطات واسعة، جعلت نفوذهما يمتد إلى جميع مرافق الدولة، ولكن سرعان ما تم التخلص منهما.

ج- الكتابة:

كانت طبقة الكتّاب ذات أهمية كبيرة فى «الدولة العباسية»، وكان الكاتب ذا علم واسع وثقافة عريضة؛ لأنه يقوم بتحرير الرسائل الرسمية والسياسية داخل الدولة وخارجها، كما يتولّى نشر القرارات والبلاغات والمراسيم بين الناس، ويجلس على منصة القضاء بجوار الخليفة لينظر فى الدعاوى

والشكاوى ثم يختتمها بخاتم الخليفة.

ومن أشهر الكتّاب فى العصر العباسى الأول «يحيى بن خالد بن برمك» فى عهد «الرشيد»، و«الفضل» و«الحسن» ابنا «سهل»، و«أحمد بن يوسف» فى عهد «المأمون»، و«محمد بن عبد الملك» الزيات و«الحسن بن وهب»، و«أحمد بن المدبر» فى عهد «المعتصم» و«الواثق».



د - الحجابة :

وهى وظيفة تقوم بمساعدة الحكام فى تنظيم الصلة بينهم وبين الرعية، فالحاجب واسطة بين الناس والخليفة، يدرس حوائجهم، ويأذن لهم بالدخول بين يدي الخليفة أو يرفض ذلك إذا كانت الأسباب غير مقنعة؛ وذلك حفاظاً على هيبة الخلافة وتنظيماً لعرض المسائل حسب أهميتها على الحاكم الأعلى للبلاد.

وقد اقتدى العباسيون بالأمويين فى اتخاذ الحُجَّاب، وأسرفوا فى منع الناس من المقابلات الرسمية، ولعل هذا هو السبب المباشر فى نشأة ما أسماه «ابن خلدون» «الحجاب الثانى»، فكان بين الناس والخليفة حاجزان عبارة عن دارين، أحدهما يُسمى «دار الخاصة» والآخر «دار العامة»، وكان الخليفة يقابل كل طائفة حسب حالتها وظروفها فى إحدى هاتين الدارين تبعاً لإرادة الحُجَّاب على أبوابها.

هـ - ولاية الأقاليم:

المقصود بالأقاليم: المناطق التى تتكون منها الدولة. وقد كان النظام الإدارى فى «الدولة العباسية» نظاماً مركزياً؛ حيث صار الولاة على الأقاليم مجرد عمال للخليفة على عكس ما كانوا عليه فى «الدولة الأموية».

وقد قسم العباسيون الولاية على الأقاليم إلى قسمين، وخصوصاً فى عهد «الرشيد»، الأول: الولاية الكبرى وهى التى تكون لأحد أبناء الخليفة أو شخص مقرب من الخليفة؛ حيث يتولى هذا الوالى عدة أقاليم فى الدولة ويقوم بتصريف أمورها من العاصمة، أو

من أحد تلك الأقاليم بعد الرجوع إلى الخليفة، ويرسل إليها ما يشاء من الولاة. الثانى: الولاية الكاملة: حيث يتمتع الوالى ببعض السلطات التى توسع دائرة نفوذه، مثل النظر فى الأحكام وجباية الضرائب والخراج وحماية الأمن وإمامة الصلاة وتسيير الجيوش للغزو.

و - الدواوين :

ظهرت الدواوين في «الدولة الإسلامية»، كبقية المؤسسات الإدارية، نتيجة لاحتياج المسلمين إليها، وقد جعل «ابن خلدون» وجود الديوان من الأمور اللازمة للملك.

وللديوان أهمية كبرى فيما يتعلق بأموال الدولة وحقوقها وحصص جنودها ومرتباتهم. ويرجع الفضل في تنظيم الدواوين في العصر العباسي إلى «خالد بن برمك».

وقد اهتم الخلفاء العباسيون بالدواوين؛ فكثرت اختصاصاتها وتنوعت بسبب التعاون الوثيق بين العباسيين والفرس، فقد أخذ العباسيون الخبرة الفارسية في مجال الإدارة، كما احتفظوا ببعض تنظيمات «الدولة الأموية»، خصوصاً في الدواوين والدوائر الرسمية، كما استحدثوا بعض الدواوين كديوان المصادرات، وديوان الأزمّة (الحاسبة) وديوان المظالم، وغيرها.

ز - القضاء :

وهو من الوظائف المهمة في «الدولة الإسلامية»، ويقوم على المحافظة على حقوق الرعية وإقرار العدل والإنصاف بين جميع الطبقات، وحماية الأخلاق العامة، مستمداً أحكامه من الكتاب والسنة. ونظراً لأهمية هذا المنصب فقد وضع العلماء المواصفات التي يجب توافرها في القاضي، منها: أن

يكون رجلاً قوياً عاقلاً حراً مسلماً عادلاً، ويتمتع بالسلامة في السمع والبصر، وأن يكون عالماً بأحكام الشريعة.

وقد حظى القضاء في العصر العباسي الأول بالتبجيل والاحترام، وكان تعيينهم وعزلهم يتم بأمر الخليفة، وأول من فعل ذلك الخليفة «المنصور»، فقد عين قضاة البلاد بأمره سنة (١٣٦هـ = ٧٥٣م).

وقد استقرت المذاهب الفقهية في عهد «الدولة العباسية»، وتحددت مهام القضاء وكيفية الإجراء القضائي، وتوحد القانون وأصبحت جلسات القاضي علنية في المسجد وخصوصاً في عهد «المأمون».

كما اهتم خلفاء العباسيين

بالتثبت من الأحكام، فعينوا جماعة من المُرَكِّين، وظيفتهم تتبع أحوال الشهود، فإذا طعن الخصم في شهادة أحد الشهود سئل عنه المُرَكِّي، كما اهتموا بأحوال القضاة المادية حتى يعيشوا في يسر ورخاء. وقد تطور القضاء بصورة ملحوظة في العصر العباسي الأول، وظهر منصب «قاضي القضاة»، وكان يقيم في

عاصمة الدولة،

ويقوم بتعيين القضاة في الأقاليم والبلاد المختلفة، وأول من لقب «قاضي القضاة» «أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم»، صاحب كتاب «الخراج»، في عهد «الرشيد».

ثانياً : الأوضاع الاقتصادية والعمرانية:

أدرك الخلفاء العباسيون أهمية الاقتصاد وتنمية الموارد المالية لمواجهة النفقات المتعددة للدولة، واتخذ «المنصور» عدة خطوات لزيادة موارد الدولة، فاستحدث نظام المصادرات للاستيلاء على الأموال لمواجهة

أعباء الثورات والحركات التي واجهها، وأعاد النظر في مقادير الضرائب المفروضة على الكور.

وفي عهد «الرشيد» ازدهرت أحوال الدولة الاقتصادية، وارتفع مستوى المعيشة، بسبب تدفق الأموال على خزانة الدولة في بغداد، وتعدد موارد الدولة المالية، فكان منها الزكاة، والخراج، والجزية، وأخماس المعدن، والرسوم على التجارة الخارجية، وغيرها.

وقد أسهمت تلك الموارد في سدّ النفقات في مجال النشاط العسكري والأمني، ومجال البناء والتعمير



المملكة العربية السعودية

وإنشاء المدن، مثل مدينة «بغداد» و«سامراء».

* مدينة بغداد:

يرجع الفضل في بنائها إلى الخليفة «أبي جعفر المنصور» ودفعه إلى ذلك عدة أسباب، منها:

١ - «ثورة الراوندية» سنة (١٤١هـ = ٧٥٨م) وما شكّلته من خطر كبير على «المنصور» نفسه؛ الأمر الذي جعله يفكر جدياً في الانتقال من «الهاشمية» لأنها لم تكن بالعاصمة الحصينة التي يأمن فيها على نفسه.



٢ - أن «الهاشمية» وهي العاصمة المؤقتة للدولة العباسية كانت قريبة من «الكوفة» مركز التشيع؛ مما يشكل خطراً على العباسيين.

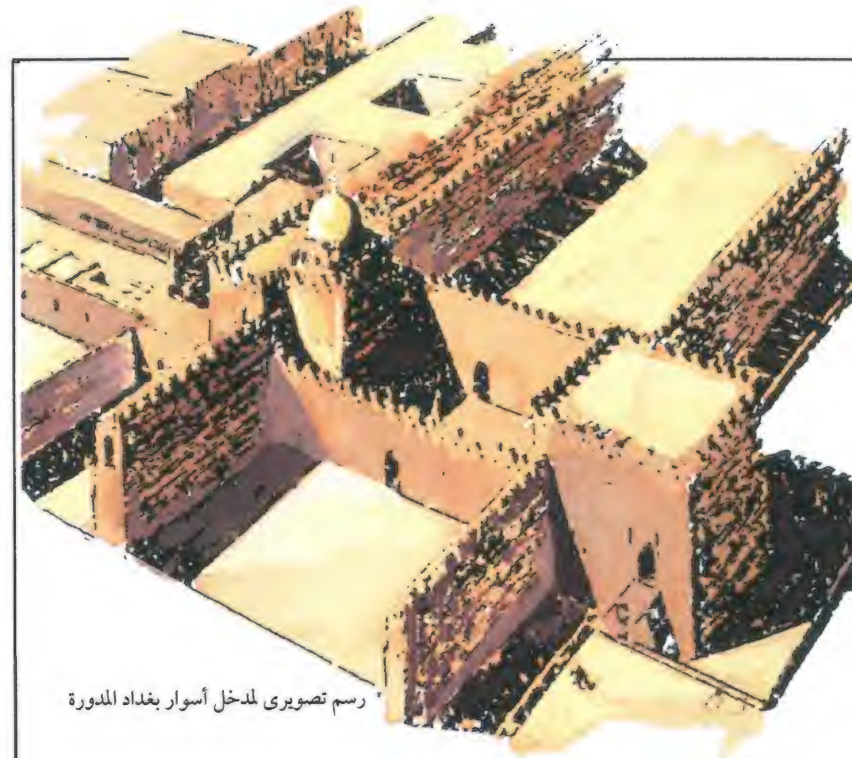
٣ - رغبة «المنصور» في إنشاء عاصمة جديدة تليق بالدولة وتخلد ذكره من بعده.

وقد جرت عدة محاولات لاختيار المكان المناسب لبناء عاصمة الدولة الجديدة، حتى وقع الاختيار على المكان الذي بنيت فيه مدينة «بغداد»؛ وروى فيها أن تتمتع بزايا عديدة أهمها :

- أنها قريبة من «خراسان» مهد الدعوة العباسية، فضلاً عن قربها من المراكز العربية الأخرى، وبعدها عن مراكز الاحتكاك البيزنطي.

- وأنها تقع بين نهريين كبيرين هما «دجلة» و«الفرات»، وهما يشكلان خطين للدفاع عن المدينة.

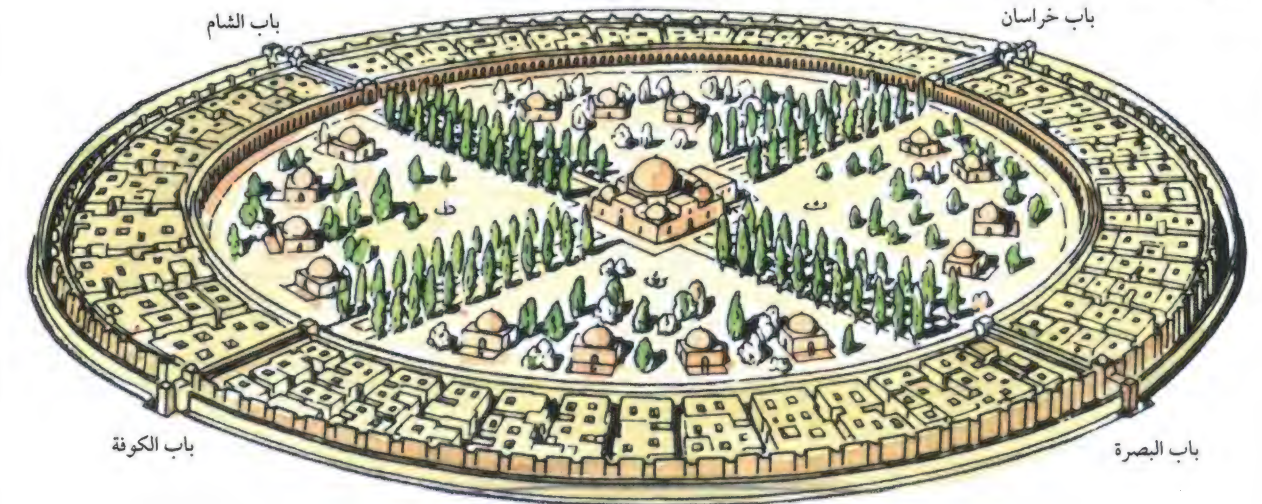
- وأنها تقع وسط «العراق» وعلى مسافة متساوية بين «البصرة»



رسم تصويري لدخول أسوار بغداد المدورة

و«الموصل»؛ مما يجعلها سوقاً للبضائع والمنتجات، وملتقى للقوافل التجارية البرية والنهرية؛ إذ إنها تقع أيضاً على طريق «الشام» - الخليج العربي.

وقد تم تصميم المدينة على شكل دائري، يحيط بها سور، ولها أربعة أبواب، وبلغت نفقات بنائها حينئذ ثمانية عشر مليون درهم، وأطلق عليها اسم «دار السلام»، إلا أن الشائع هو اسمها القديم «بغداد».



مدينة المنصور (بغداد) والمسجد في منتصف المدينة المدورة

- مدينة سامراء:

أسسها الخليفة العباسي «المعتصم بالله» (٢١٨ - ٢٢٧ هـ = ٨٣٣ - ٨٤٢ م) وجعلها عاصمة للخلافة، وقد دفعه إلى إنشائها احتكاك الجنود الأتراك الذين جلبهم الخليفة للإقامة معه في «بغداد»، بسكان المدينة وجنودها السابقين، مما أدى إلى حدوث إصابات كثيرة بين سكان «بغداد» ومقتل كثير من النساء والأطفال والشيوخ، فاضطر الخليفة «المعتصم بالله» إلى البحث عن مكان جديد، ينتقل إليه مع جنوده وحاشيته؛ فوقع الاختيار على أرض «سامراء»، على بعد ستين ميلاً شمال «بغداد».

وقد حشد لها «المعتصم» العمال والبنائين وأهل الصناعات الماهرة، وشرع في بنائها سنة ٢٢١ هـ = ٨٣٦ م.



المنارة الملونة بمدينة سامراء



* ثالثاً: الحياة الفكرية:

شهد العصر العباسي الأول نهضة فكرية عظيمة، وطفرة ثقافية كبيرة في شتى مجالات العلم والمعرفة نتيجة امتداد رقعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها واهتمام الخلفاء بالحياة الفكرية.

وقد ميز علماء المسلمين بين نوعين من العلوم:

١ - علوم تتصل بالقرآن الكريم، وهي العلوم النقلية أو الشرعية، وتشمل علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو، واللغة والبيان والأدب.

٢ - علوم أخذها العرب عن غيرهم من الأمم، وهي «العلوم العقلية» وتشمل: الفلسفة والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والطب والكيمياء والتاريخ والجغرافيا.

وقامت المساجد بدور فعال في نشر الثقافة الإسلامية؛ حيث كانت تكتظ بحلقات العلم والدرس، وبخاصة العلوم الشرعية التي ازدهرت في العصر العباسي، ونشأت في كنف علمي التفسير والحديث، ولم يكن الحديث مقصوراً على أحاديث رسول الله ﷺ، وإنما ضم أيضاً ما كان مأثوراً عن الصحابة، ومن أشهر رجال الحديث في ذلك العصر «حماد بن سلمة» (ت: ١٦٥هـ)، و«سفيان بن عيينة» بمكة

(ت: ١٩٨هـ)، و«وكيع بن الجراح» بالكوفة (ت: ١٩٦هـ)، و«عبدالله ابن المبارك» (ت: ١٨١هـ)، و«سفيان الثوري» بالكوفة (ت: ١٦١هـ)، و«عبد الرحمن الأوزاعي» بالشام (ت: ١٥٧هـ)، و«عبد الملك بن جريح» (ت: ١٥٠هـ)، و«معمربن راشد» باليمن (ت: ١٥٣هـ)، و«سعيد بن أبي عروبة» بالبصرة (ت: ١٥٦هـ)، و«مالك بن أنس» بالمدينة.

ومن أبرز المؤلفات في هذا المجال كتاب «الموطأ» الذي ألفه الإمام «مالك بن أنس» إمام دار الهجرة (المدينة المنورة) بناءً على طلب «المنصور»، فيروي أن الخليفة «أبا جعفر المنصور» قابل الإمام «مالكاً» في موسم الحج، وكلمه في مسائل كثيرة من العلم، ثم قال له:

يا «أبا عبدالله» لم يبق في الناس أفقه مني ومنك، وإنني قد شغلتنى الخلافة فاجمع هذا العلم ودونه ووطئه للناس توطئة، وتجنب فيه شذائد «عبد الله بن عمر»، ورخص «عبد الله بن عباس»، وشواذ «عبد الله بن مسعود»، واقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضي الله عنهم. فاعتذر الإمام «مالك»، فلم يقبل «المنصور» منه، فوضع «مالك» كتاب «الموطأ».

ولم تظهر الطريقة المنظمة في التفسير إلا في العصر العباسي الأول؛ حيث كان قبل ذلك غير منظم ويقتصر على تفسير آيات صغيرة غير مرتبة حسب ترتيب السور والآيات باستثناء تفسير ابن عباس.

وأهم المفسرين في العصر العباسي الأول «مقاتل بن سليمان الأزدي» (ت: ١٥٠هـ)، و«محمد ابن إسحاق» (ت: ١٥١هـ)، ولم يصل من تفاسير هؤلاء شيء إلينا. وازدهرت دراسة الفقه ازدهاراً عظيماً وكانت له مدرستان، الأولى مدرسة أهل الرأي والقياس في العراق ومؤسسها «أبو حنيفة النعمان» (ت: ١٥٠هـ)، وخلفه «أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم» (ت: ١٨٢هـ)، و«محمد بن الحسن الشيباني» (ت: ١٨٩هـ) والثانية مدرسة أهل الحجاز ومؤسسها «مالك بن أنس» وتسمى مدرسة أهل الحديث، ثم جاء الإمام الفقيه «محمد بن إدريس الشافعي» (ت: ٢٠٤هـ)، وجمع بين هاتين المدرستين، أي جمع بين طريقة

وأهم رجال المعتزلة «واصل بن عطاء» (ت: ١٣١هـ)، و«عمرو بن عبيد» (ت: ١٤٥هـ)، و«بشر بن المعتمر» (ت: ٢١٠هـ)، و«ثمامة ابن أشدس» (ت: ٢١٣هـ)، و«أبو الهذيل العلاف» (ت: ٢٢٧هـ).

وشهد ذلك العصر نخبة كبيرة من علماء اللغة، منهم: «أبو عمرو ابن العلاء» (ت: ١٥٤هـ)، و«خلف الأحمر» (ت: ١٨٠هـ)، و«الأصمعي» صاحب الأصمعيات (ت: ٢١٣هـ)، و«أبو زيد الأنصاري» صاحب كتاب النوادر (ت: ٢١٤هـ) و«أبو عبيدة» صاحب «نقائض جرير والفرزدق» (ت: ٢١٠هـ)، و«محمد بن سلام الجمحي»، و«حماد الراوية» (ت: ١٥٥هـ)، و«المفضل الضبي»، و«أبو عمرو الشيباني» (ت: ٢٠٦هـ)، و«أبو عبيد القاسم ابن سلام» (ت: ٢٢٤هـ).

وفي النحو: «عيسى بن عمر

الثقفى» (ت: ١٤٩هـ)، و«الخليل ابن أحمد» الواضع الحقيقي لعلم النحو (ت: ١٧٠هـ)، و«سيبويه» (ت: ١٨٠هـ) و«معاذ ابن مسلم الهراء» (ت: ١٨٧هـ)، و«الكسائي» (ت: ١٨٩هـ)، و«الفراء» (ت: ٢٠٧هـ)، وعنى كثير من اللغويين والنحاة بكتابة سيرة النبي ﷺ وأشهرهم «محمد بن إسحاق» (ت: ١٥١هـ)، و«ابن هشام» (ت: ٢١٣هـ)، و«محمد بن عمر الواقدي» (ت: ٢٠٧هـ)، و«محمد بن سعد» صاحب الطبقات (ت: ٢٣٠هـ).

كما نشطت كتابة التاريخ في العصر العباسي الأول وأشهر من اشتغل بذلك العلم: «محمد بن الحسين بن زباله»، و«أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي» (ت: ١٥٧هـ)، و«سيف بن عمر التميمي» (ت: ١٨٠هـ)، و«هشام ابن محمد الكلبي» (ت: ٢٠٤هـ)، و«المدائني» (ت: ٢٢٥هـ).

كما شهد ذلك العصر نخبة كبيرة من فحول الشعراء على رأسهم «بشار بن برد» (ت: ١٦٨هـ)، و«أبو نواس الحسن ابن هانئ» (ت: ١٩٥هـ)، و«أبو العتاهية» (ت: ٢١١هـ)، و«مسلم ابن الوليد» (ت: ٢٠٨هـ)، و«أبو تمام حبيب بن أوس» (ت: ٢٣١هـ)، وتطور الشعر في العصر العباسي الأول بعد دخول كثير من الثقافات اليونانية والفارسية



العصر العباسي الثاني

[٢٣٢-٢٥٦هـ = ٨٤٧-١٢٥٨م]

يمتد العصر العباسي الثاني أكثر من أربعة قرون، وقد قسم المؤرخون هذه الفترة إلى أربعة عصور رئيسية هي :

- ١ - عصر نفوذ الأتراك . ٢ - عصر البويهيين .
- ٣ - عصر السلاجقة . ٤ - عصر ما بعد السلاجقة .

أولاً: عصر نفوذ الأتراك

[٢٣٢ - ٣٣٤هـ = ٨٤٧ - ٩٤٥م]

- | | | |
|---|---|--|
| كان «المأمون» أول من استخدم الأتراك وقربهم، ولكنهم كانوا محدودى العدد والنفوذ فى عهده، فلما تولى الخليفة «المعتصم» الحكم جعلهم عنصراً أساسياً فى جيشه، وبلغ عددهم بضعة عشر ألفاً، وكانوا تحت سيطرة الخليفة. | ١ - المتوكل (٢٤٧ - ٢٤٨هـ = ٨٦١م) . | على بن المعتضد (٢٨٩ - ٢٩٥هـ = ٩٠٢ - ٩٠٨م) . |
| وبدأ نفوذ الأتراك يتزايد فى عهد «الواثق»، ثم ازداد حدة واتساعاً فى عهد الخليفة «المتوكل» . | ٢ - المستعين بالله «أحمد بن المعتصم» (٢٤٨ - ٢٥٢هـ = ٨٦٢م) . | ٩ - المقتدر بالله «أبو الفضل جعفر بن محمد» (٢٩٥ - ٣٢٠هـ = ٩٠٨ - ٩٣٢م) . |
| ويمتد عصر نفوذ الأتراك إلى ما يزيد قليلاً عن قرن من الزمان، تعاقب خلاله على كرسى الخلافة ثلاثة عشر خليفة هم : | ٣ - المعتز بالله «محمد أبو عبدالله بن المتوكل» (٢٥٢ - ٢٥٥هـ = ٨٦٦ - ٨٦٩م) . | ١٠ - القاهر بالله «أبو منصور محمد بن المعتضد» (٣٢٠ - ٣٢٢هـ = ٩٣٢ - ٩٣٤م) . |
| ١ - المتوكل على الله «جعفر ابن المعتصم» (٢٣٢ - ٢٤٧هـ = ٨٤٧ - ٨٦١م) . | ٤ - المهتدى بالله «محمد بن الواثق بن المعتصم» (٢٥٥ - ٢٥٦هـ = ٨٦٩ - ٨٧٠م) . | ١١ - الراضى بالله «أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد» (٣٢٢ - ٣٢٩هـ = ٩٣٤ - ٩٤١م) . |
| ٢ - المنتصر بالله «محمد بن يزيد طلحة بن المتوكل» (٢٧٩ - ٢٨٩هـ = ٨٩٢ - ٩٠٢م) . | ٥ - المعتمد على الله «أحمد ابن المتوكل بن المعتصم» (٢٥٦ - ٢٧٩هـ = ٨٧٠ - ٨٩٢م) . | ١٢ - المتقى لله «أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر» (٣٢٩ - ٣٣٣هـ = ٩٤١ - ٩٤٥م) . |
| ٣ - المتكفى بالله «أبو محمد | ٦ - المعتضد بالله «أحمد بن الموفق | ١٣ - المستكفى بالله «أبو القاسم عبد الله بن المكتفى» (٣٣٣ - ٣٣٤هـ = ٩٤٥ - ٩٤٦م) . |

والهندية التى امتزجت به، وأهم فنون الشر فى ذلك الوقت: الخطابة والوعظ، المناظرات، الرسائل الديوانية، العهود والوصايا والتوقيعات، والرسائل الإخوانية والأدبية، ومن أعلام الكتاب فى ذلك العصر:

«ابن المقفع» (ت: ١٤٣هـ)، و«سهل بن هارون» (ت: ٢١٥هـ)، و«أحمد بن يوسف» (ت: ٢١٣هـ)، و«عمرو بن سعده» (ت: ٢١٧هـ).

وقد شجع الرشيد العلم والعلماء، وأنشأ «بيت الحكمة»، وجمع فيه كثيراً من المؤلفين، والمترجمين والنساخ.

ومن أشهرهم: «سهل بن هارون»، و«الحسين بن سهل»، و«الفضل بن توبخت»، وكانوا يترجمون من الفارسية إلى العربية. و«حنين بن إسحاق»، و«يوحنا البطريق»، و«يوحنا بن ماسويه»، وكانوا يترجمون من اليونانية والسريانية إلى العربية، وفى عهد «المأمون» نشطت حركة الترجمة والنقل من اللغات الأجنبية إلى العربية، فأرسل البعوث إلى «القسطنطينية» لإحضار المصنفات الفريدة فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب.

وقد اشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التى تُرجمت إلى العربية، وتفسيرها والتعليق عليها، وتصحيح أخطائها، ومن هؤلاء: «يعقوب بن إسحاق الكندى»، الذى ترجم كثيراً من كتب الفلسفة وشرح غوامضها، ونبغ فى علوم الطب والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم.

ومن العوامل التى ساهمت فى ازدهار الحركة العلمية فى العصر العباسى الأول ظهور الورق واستخدامه فى الكتابة، وقد أنشأ «الفضل بن يحيى البرمكى» مصنعاً للورق فى عهد «الرشيد» ببغداد، فانتشرت الكتابة فيه لحفته بعد أن كانوا يكتبون على الجلود والقراطيس المصنوعة بمصر من ورق البردى.

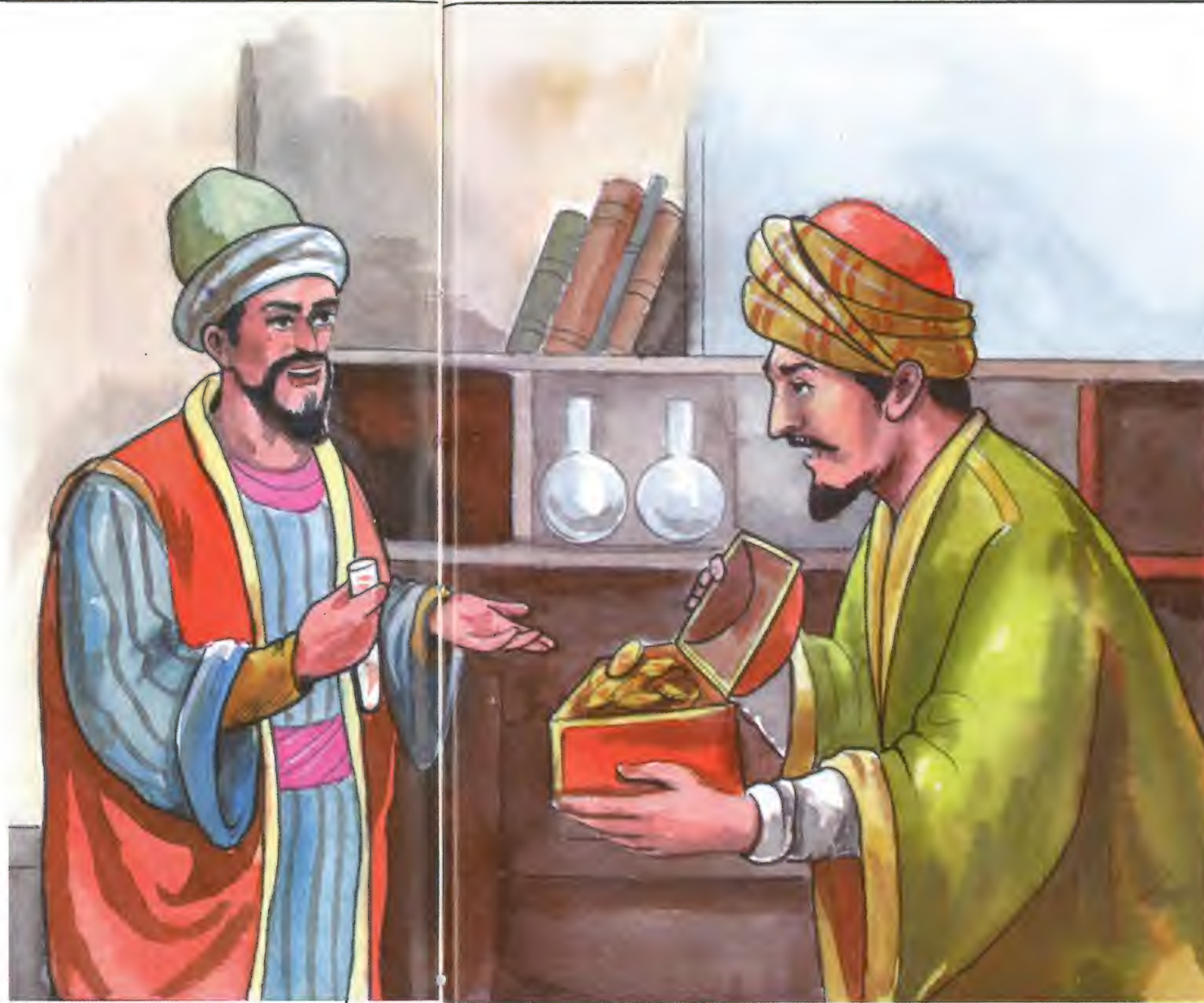


(١) المتوكل على الله:

وقد تولى الخلافة في ذي الحجة سنة (٢٣٢هـ = ٨٤٧م)، وكان عهده بداية حقبة الضعف والتدهور، وتفكك بنيان الخلافة العباسية.

ورغم أن «المتوكل» كان قوى الشخصية، وافر الهيبة فإنه لم يستطع أن يضع حدا لاستفحال النفوذ التركي في عهده، الذي كان له دور في توليته الخلافة بعد أن كادت البيعة تتم لمحمد بن الواثق، وكان غلاماً.

وقد نجح «المتوكل» في البداية في التخلص من أخطر العناصر التركية في عهده، وهو «إيتاخ» الذي استفحل خطره حتى إنه همَّ يوماً بقتل الخليفة «المتوكل» حين تبسَّط معه في المزاح، لكن الخليفة نجح في التخلص منه سنة (٢٣٥هـ = ٨٤٩م) كما عزم على التخلص من قادة الأتراك ووجوهم، مثل «وصيف» و«بُغا»، إلا أنهم استغلوا ما بينه وبين ابنه وولى عهده «محمد المنتصر» من خلاف وجفوة ودبروا مؤامرة انتهت بقتل «المتوكل» ووزيره «الفتح بن خاقان» في الخامس من شوال سنة (٢٤٧هـ = ٨٦١م)، وبايعوا ابنه «المنتصر» خليفة.



وقد استطاع «المتوكل» في عهده أن يظفر بمكانة عظيمة في قلوب جماهير المسلمين، حين منع النقاش في القضايا الجدلية التي أثارها المعتزلة، مثل قضية خلق القرآن، كما رد للإمام «أحمد بن حنبل» اعتباره وجعله من المقربين إليه، بعد أن اضطرَّه في عهد «المأمون» و«المعتصم» و«الواثق»؛ لعدم إقراره القول بخلق القرآن،

الخلفاء ثلاثة: «أبو بكر الصديق» قاتل أهل الردة حتى استجابوا له، و«عمر بن عبدالعزيز» رد مظالم «بنى أمية»، و«المتوكل» محا البدع وأظهر السنة.

الأتراك احتالوا على قتله، فأعطوا طبيبه «ابن طيفور» ثلاثين ألف دينار، ففصده بمبضع مسموم فمات، في ربيع الآخر سنة (٢٤٨هـ = يونيو ٨٦٢م) بعد حكم دام ستة أشهر فقط، ويروى أنه حينما احتضر، قال لأمه: «يا أماه! ذهبت مني الدنيا والآخرة، عاجلت أبي فعوجلته».

ومن مآثر «المنتصر بالله»، خلال فترة حكمه القصيرة، إحسانه إلى العلويين، وإزالته عنهم ما كانوا فيه من خوف وضيق في عهد أبيه «المتوكل».

(٣) المستعين بالله :

هو «أحمد بن المعتصم»، تولى الخلافة في السادس من ربيع الآخر سنة (٢٤٨هـ = يونيو ٨٦٢م)، وعمره ثمان وعشرون سنة، فعقب وفاة «المنتصر» اجتمع الأتراك بزعامة «بُغا الصغير» و«بُغا الكبير»، وقرروا عدم تولية أحد من أولاد «المتوكل» الخلافة، خوفاً من انتقامه منهم، وبايعوا «أحمد بن المعتصم»، الملقب بالمستعين بالله.

وكان من الطبيعي ألا يكون للمستعين بالله مع الأتراك أمر ولا نهى، ولم يمض وقت طويل حتى غضب عليه الأتراك وقرروا خلعه ومبايعه «المعتز بالله محمد بن المتوكل»؛ فاشتعلت الحرب بين أنصار «المستعين» وأنصار «المعتز»، وانتهت بالقبض على «المستعين»

(٢) المنتصر بالله:

تولى الخلافة في اليوم الذي قُتل فيه أبوه، وذلك في شوال سنة (٢٤٧هـ = ديسمبر ٨٦١م)، وعمره ستة وعشرون عاماً. وحاول التصدي للنفوذ التركي بكل حزم، وصار يسب الأتراك ويقول: هؤلاء قتلة الخلفاء!

ورغم أن «المنتصر بالله» كان وافر العقل قوى الشخصية فإن

وقتل في سجنه في شوال سنة (٢٥٢هـ = ديسمبر ٨٦٦م). وقد شهدت خلافة «المستعين بالله» قيام «الدولة العلوية» بطبرستان سنة (٢٥٠هـ = ٨٦٤م)، على يد «الحسن بن زيد العلوي» الملقب بالداعي الكبير، واستمرت هذه الدولة حتى سنة (٣١٦هـ = ٩٢٨م).

(٤) المعتز بالله محمد بن المتوكل :

بويع له بالخلافة في شوال سنة (٢٥٢هـ = ديسمبر ٨٦٦م)، وعمره تسعة عشر عاماً، وقد استضعفه الأتراك وطلبوا منه مالاً فاعتذر لهم بفراغ بيت المال، فثاروا عليه وضربوه ومزقوا ملابسه، وأقاموه في الشمس، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى من شدة الحر، ثم سجنوه وعذبوه حتى مات في شعبان سنة (٢٥٥هـ = يوليو ٨٦٩م).

وكان من أهم الأحداث التي شهدتها خلافة «المعتز» قيام «الدولة الصفارية» في «فارس» بزعامة «يعقوب بن الليث الصفار» وذهاب «أحمد بن طولون» إلى «مصر» سنة (٢٥٤هـ = ٨٦٨م) نائباً عن واليها، لكنه استطاع في فترة لاحقة أن يستقل بها عن العباسيين، وأن يضم إليها «الشام» مكوناً بذلك «الدولة الطولونية» في «مصر» و«الشام».

(٥) المهتدي بالله محمد بن الوائق:

بايع الأتراك «المهتدي بالله» خليفة للمسلمين في رجب سنة (٢٥٥هـ = يونيو ٨٦٩م)، عقب الإطاحة بالمعتز. وقد كان «المهتدي» تقياً شجاعاً حازماً، وكان يتخذ «عمر بن عبدالعزيز» مثله الأعلى، ويقول: «إنني أستحيى أن يكون في «بنى أمية» مثله، ولا يكون مثله في «بنى العباس»، ولذلك نبذ الملاحى وحرّم الغناء والخمر وحارب الظلم.

حاول «المهتدي بالله» أن يوقف طغيان الأتراك واستبدادهم فقتل بعضهم، فثاروا عليه وأسروه وعذبوه ليخلع نفسه فرفض، فقاموا بخلعه وسجنه وتعذيبه حتى مات في رجب سنة (٢٥٦هـ = يونيو ٨٧٠م). وقد كان من أهم الأحداث التي شهدتها عصر «المهتدي بالله»:

(٦) المعتمد على الله، وصحوة الخلافة:

تولى «المعتمد على الله أحمد ابن المتوكل» الخلافة بعد خلع «المهتدي» سنة (٢٥٦هـ = ٨٧٠م)، وقد أتاح الظروف التي تولى فيها «المعتمد» مقاليد الحكم ظهور ما عُرف باسم «صحوة الخلافة» في «العراق»، مثل «البصرة» و«واسط»



فقد تصاعد النزاع الداخلي بين القادة الأتراك، وساءت معاملتهم لجنودهم، كما ازدادت شكوى الجنود من مضايقاتهم، مما أدى إلى ظهور اتجاه قوى داخل الجيش بحتمية جعل القيادة العسكرية العليا في يد أحد أمراء البيت العباسي؛ يقوم الخليفة باختياره، ويدين له الجميع بالطاعة، وقد اختار «المعتمد» أخاه «الموفق» قائداً للجيش، فكانت «صحوة الخلافة»؛ حيث استردت قوتها وهيبتها واستطاع «الموفق» بحكمته وحزمه وصلابة إرادته أن يكبح جماح الأتراك، وأن يعيد تنظيم الجيش، ويقر الأمن والنظام.

ورغم أن «المعتمد بالله» كان الخليفة الرسمي فإن أخاه «الموفق» كان صاحب السلطة الفعلية، فكان له الأمر والنهي، وقيادة الجيش ومحاربة الأعداء، ومرابطة الثغور، وتعيين الوزراء والأمراء، وكان قضاء «الموفق» على «ثورة الزنج» سنة (٢٧٠هـ = ٨٨٣م) أعظم إنجاز له.

وقد توفى «الموفق» في صفر سنة (٢٧٨هـ = مايو ٨٩١م)، وفي العام التالي توفى الخليفة «المعتمد» في رجب سنة (٢٧٩هـ = سبتمبر ٨٩٢م)، بعد أن حكم البلاد ثلاثة وعشرين عاماً. وقد حفل عهده بالعلماء الأعلام في مجالات المعرفة المختلفة.

وقد توفى «الموفق» في صفر سنة (٢٧٨هـ = مايو ٨٩١م)، وفي العام التالي توفى الخليفة «المعتمد» في رجب سنة (٢٧٩هـ = سبتمبر ٨٩٢م)، بعد أن حكم البلاد ثلاثة وعشرين عاماً. وقد حفل عهده بالعلماء الأعلام في مجالات المعرفة المختلفة.

(٧) المعتمد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق:

تولى الخلافة بعد وفاة عمه «المعتمد»، وكان قوى الشخصية؛ فحفظ هيئة الخلافة، كما كانت في عهد أبيه «الموفق» وعمه «المعتمد»، يقول «السيوطي»:

كان «المعتمد» شهماً جلدًا، موصوفاً بالرجلة (أى الشجاعة)، وقد خاض الحروب وعُرف فضله، فقام بالأمر أحسن قيام، وهابه الناس ورهبوه أحسن رهبة، وسكنت الفتن في أيامه لفرط هيئته، وكانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء.

وقد تمكن «المعتمد» خلال حكمه الذي دام عشر سنوات من تهيئة المزيد من القوة والاستقرار للدولة العباسية، ففضى على مصادر الفتن والثورات، وأحمد ثورة «بنى شيان» بأرض الجزيرة سنة (٢٨٠هـ = ٨٩٣م)، و«ثورة حمدان بن حمدون» - رأس الأسرة الحمدانية - بالموصل، واستولى على قلعة «ماردين» التي كان يتحصن بها سنة (٢٨١هـ = ٨٩٤م)، كما قضى على ثورة الخوارج في «الموصل» بزعامة «هارون بن عبدالله الشاربي» الذي وقع في الأسر، وأمر «المعتمد» بضرب عنقه سنة (٢٨٣هـ = ٨٩٦م)، ومن أخطر الحركات التي شهدتها عصر «المعتمد»:

- حركة القرامطة:

وترجع بداية هذه الحركة إلى عام (٢٧٨هـ = ٨٩١م) قبل تولي «المعتمد» الخلافة بعام، حين قدم إلى «الكوفة» رجل اسمه «حمدان» ولقبه «قَرْمَط»، تظاهر بالعبادة والتقشف والدعوة إلى إمام من آل البيت، فلقيت دعوته صدى كبيراً عند أنصار آل البيت، وحين خمدت سيطرته الروحية عليهم أخذ يبت فيهم أفكاراً غريبة عن الإسلام، منها: الشهادة بأن «أحمد بن محمد بن الحنفية» رسول الله، وأن القبلة إلى بيت المقدس، وأن النبيذ حرام والخمر حلال، وغير ذلك من الأفكار الشاذة.

وقد اشتد خطر هذه الحركة بعد ظهور زعيمها «أبي سعيد الجنائبي» في «البحرين» سنة (٢٨٦هـ = ٨٩٩م)؛ حيث استطاع بسط سلطانه على «البحرين» و«هجر»، وكسب أنصار كثيرين له في المناطق التي يتشر فيها التشيع.

وقد تحولت «البحرين» إلى مركز رئيسي للقرامطة، خرجت منه حملاتهم الحربية في اتجاه «العراق» و«الحجاز» و«الشام»؛ لنشر أفكارهم الهدامة التي تهدف إلى هدم كيان المجتمع الإسلامي، وبسط نفوذهم بواسطة خداع العامة ببادئ وشعارات براقة، كالعدالة والمساواة والبساطة، ومساعدة الآخرين، ولم

تدرك الخلافة العباسية مدى الخطورة التي تنطوي عليها هذه الحركة، ووجهت جهودها الحربية إلى حركات أخرى تبدو أكثر منها خطورة، مثل الحركة الصفارية والطولونية وغيرهما، ومن هنا لم تظفر هذه الحركة من الخليفة «المعتضد» - الذي عاصر بدايتها الأولى - بما تستحقه من اهتمام.

- انتقال عاصمة الخلافة إلى بغداد:

ظلت مدينة «سامراء» أو «سر من رأى» عاصمة الخلافة العباسية منذ حوالي سنة (٢٢١هـ = ٨٣٦م) - في خلافة «المعتصم بالله» - إلى أوائل خلافة «المعتضد» الذي بنى «القصر الحسني» ببغداد، وقرر انتقال عاصمة الخلافة إليها سنة (٢٨٠هـ = ٨٩٣م).

- وفاة المعتضد:

تُوفِّي «المعتضد»^(٢) في ربيع الآخر سنة (٢٨٩هـ = ٩٠٢م)، وكان عصره يُموج بالحركة العلمية والدينية والأدبية، فقد عاش في عصره عدد من العلماء والأدباء البارزين.

(٨) المكتفى بالله على بن المعتضد:

تولى الخلافة في ربيع الآخر سنة (٢٨٩هـ = مارس ٩٠٢م) عقب وفاة أبيه، وعمره خمس وعشرون سنة، ورغم أنه كان حسن السيرة

محبوباً لدى الرعية فإنه لم يكن يتمتع بما كان يتمتع به أبوه «المعتضد»، من قوة الشخصية والحزم، فكانت خلافته تمهيداً لعودة الأمور إلى أوضاعها السابقة، وفترة انتقالية بين «صحوة الخلافة» وانتكاسها.

وقد شهد عهد «المكتفى» أحداثاً كثيرة، منها: ازدياد خطر القرامطة وتهديدهم للشام و«الحجاز» و«اليمن»، وقد جرت على يد زعيمهم «زكرويه بن مهرويه» مذابح

بشعة ضد حجاج بيت الله الحرام وعامة الناس، ونشروا الفزع في أنحاء العالم الإسلامي، واستطاع «زكرويه» أن يهزم جيشاً للخليفة «المكتفى»، وأن يقتل منه عدداً كبيراً، فأعد له «المكتفى» جيشاً حشد فيه أكفأ القواد، نجح في قتل «زكرويه» وكثيراً من أتباعه عام (٢٩٤هـ = ٩٠٧م)، وتبعهم في «العراق»، ولكنه لم يستطع القضاء عليهم تماماً، فظلوا من بعده مصدر خطر مؤكد على كيان الخلافة.

ومما شهدته عصر «المكتفى» أيضاً من أحداث: تولية «المكتفى» «أبي الهيجاء» عبدالله بن حمدان التغلبي ولاية «الموصل» والبلاد التابعة لها سنة (٢٩٣هـ = ٩٠٦م)، وكان ذلك مقدمة لاستقلال الحمدانيين بالموصل - فيما بعد - وضمهم «حلب» إليها، ونشأة «الأسرة الحمدانية».

- وفاة المكتفى:

تُوفِّي «المكتفى» وفاة طبيعية في ذي القعدة سنة (٢٩٥هـ = أغسطس ٩٠٨م)، وترك خزانة الدولة ممتلئة بالأموال، وقد أرجع المؤرخون ذلك إلى الجهد الذي بذله أبوه «المعتضد» في جلب أسباب الاستقرار الاقتصادي إلى الدولة، وحسن سيرة «المكتفى» بالله.

(٩) المقتدر بالله جعفر بن المعتضد:

تولى الخلافة بعد أخيه «المكتفى» بعهد منه في (ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ = أغسطس ٩٠٨م)، وكان صبياً في الثالثة عشرة من عمره، ولم يل الخلافة قبله أصغر منه.

أثار تولى «المقتدر» الخلافة اعتراض كثير من رجال الدولة بسبب صغر سنه، وعدم قدرته على الاضطلاع بشئون الخلافة مع وجود الأقدار منه على تحمل المسؤولية، خاصة «عبد الله بن المعتز» الشاعر المعروف بتمام العقل وجودة الرأي، فاتفق رأي عدد منهم على خلع «المقتدر» وتولية «عبد الله بن المعتز»، وكان عمره نحو تسعة وأربعين عاماً، وعندما عرضوا الأمر على «ابن المعتز» وافق بشرط ألا يسفك دم أو تنشب حرب، فأخبروه أن الأمر يُسلم إليه عفواً، وأن جميع من وراءهم من الجند والقواد والكُتَّاب قد رضوا به فبايعهم على ذلك، وتمت البيعة



لابن المعتز في (١٩ من ربيع الأول سنة ٢٩٦هـ = نوفمبر ٩٠٨م)، ولقب بالراضي بالله، ولكن أنصار «المقتدر» - وعلى رأسهم «مؤنس الخادم» - لم يرضوا بهذه البيعة، وتوجهوا نحو «ابن المعتز» وأنصاره وقبضوا عليهم وقتلوا بهم وأعادوا تنصيب «المقتدر» في اليوم التالي لبيعة «ابن المعتز»، الذي لم يكتف في الخلافة إلا يوماً أو بعض يوم، ولهذا يتجاهله المؤرخون عند ذكرهم قائمة خلفاء «بنى العباس».

وقد تدهورت الأوضاع في عهد «المقتدر»، وانتشرت الفتن وازداد تمزق الدولة، وأصبحت الخلافة نهياً للطامعين بسبب صغر سنه، وأقلت زمام الأمور من يده، وتحكم النساء والخدم في شئون البلاد، فكانت «أم المقتدر» وتسمى «شغب» تولي من تشاء وتعزل من تشاء، كما كان «مؤنس الخادم» صاحب مكانة متميزة وخطيرة في عهد «المقتدر».

وقد ازداد خطر القرامطة اتساعاً وعنفاً في عهد «المقتدر»، ووصل مداه سنة (٣١٧هـ = ٩٢٩م)، حينما دخلوا «مكة» بقيادة «أبي طاهر القرمطي»^(٣) وقتلوا الحجاج في المسجد الحرام، واستولوا على الحجر الأسود وأخذوه إلى مركزهم الرئيسي «هَجَر» حتى تم رده إلى مكانه في عهد «المطيع» سنة (٣٣٩هـ = ٩٥٠م).



* بداية ظهور الفاطميين :

عاصمة له ، وانتقل إليها من «رقادة» سنة (٣٠٨هـ = ٩٢٠م)، وقد نجح الفاطميون في الاستيلاء على «مصر» سنة (٣٥٨هـ = ٩٦٩م)، في عهد الخليفة الفاطمي «المعز لدين الله».

- قيام دولة بني حمدان :

ومن الأحداث المهمة التي شهدتها عهد «المقتدر» - أيضاً - قيام دولة «بني حمدان» في «الموصل»، فقد استمر «أبو الهيثم» عبد الله بن حمدان يحكم «الموصل» والبلاد التابعة لها من قبل الخليفة «المكتفي» حتى وفاته سنة (٣١٧هـ = ٩٢٩م)، فورثه ابنه «حسن» الملقب «ناصر الدولة» على ولاية «الموصل»، واستطاع أن يمد سلطانه إلى «ديار ربيعة» و«مضر» بأرض الجزيرة، وقد اتسع نفوذ الحمدانيين وملكهم بعد وفاة الخليفة «المقتدر»، ونجحوا في بسط سلطانهم على «حلب» و«شمال الشام» سنة (٣٣٣هـ = ٩٤٥م) بقيادة زعيمهم المعروف «سيف الدولة

ومن أهم الأحداث في عهد «المقتدر» بداية ظهور العبيديين أو الفاطميين في «شمال إفريقيا».

ويرجع الفضل في قيام «الدولة الفاطمية» إلى «أبي عبد الله الحسين ابن أحمد»، المعروف بأبي عبد الله الشيعي، أحد دعاة الفاطميين البارزين في المغرب وكان يعرف أحياناً باسم «المحتسب»؛ لأنه كان مراقباً لأسواق «البصرة» بالعراق قبل انتقاله إلى «المغرب».

وقد تمكن «أبو عبد الله الشيعي» من القضاء على «دولة الأغالبة» في «المغرب»، والاستيلاء على عاصمتهم «رقادة» سنة (٢٩٦هـ = ٩٠٩م)، وتم تنصيب أول إمام من أئمة الفاطميين وهو «عبيد الله المهدي» - وكنيته «أبو محمد» - الذي قيل إنه من سلالة الإمام «الحسين بن علي بن أبي طالب».

وقد تلقب «عبيد الله المهدي» بأمير المؤمنين، وبني مدينة «المهدية»

الحمداني»، الذي قال فيه «المتنبى» أروع قصائد المديح.

وقد أسهم أمراء «بني حمدان» وفي مقدمتهم «سيف الدولة الحمداني» في صد غارات الروم (البيزنطيين) عن مناطق الثغور الإسلامية، وفي رعاية الحركة العلمية والأدبية التي بلغت في عهدهم مركزاً مرموقاً.

- وفاة المقتدر بالله:

ساءت العلاقة بين «المقتدر بالله» وخادمه «مؤنس الخادم»؛ مما أدى إلى مقتله على يد أنصار «مؤنس» في أواخر شوال سنة (٣٢٠هـ = ٩٣٢م)، بعد أن

ظل في الحكم خمساً وعشرين سنة، هي أطول مدة يقضيها خليفة عباسي في الحكم حتى عصره.

ورغم تدهور أحوال البلاد السياسية في عهد «المقتدر» فإن الحياة العلمية قد شهدت ازدهاراً ملحوظاً في هذا العصر. وبمقتل «المقتدر» دخل عصر نفوذ الأتراك مراحلها الأخيرة.

(١٠) القاهرة بالله أبو منصور

محمد بن المعتضد :

تولى الخلافة في شوال سنة (٣٢٠هـ = ٩٣٢م)، عقب مقتل «المقتدر»، وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

وقد اتصف «القاهر» بالغلظة وقلة الثبوت، ورغم أنه نجح في التخلص من «مؤنس الخادم»، صاحب النفوذ الأكبر في عهد «المقتدر»، ومن غيره من أعيان الدولة إلا أن سوء سياسته كان سبباً في تدمير الانقلاب عليه

والإطاحة به.

وقد لعب الوزير المشهور «أبو علي بن مقله» الدور الأساسي في خلع «القاهر» والتكليف به، لخوفه منه واعتقاده أنه كان يدبر للقضاء عليه، فهاجم أعوانه الخليفة «القاهر» في دار الخلافة وقبضوا عليه وسلموا عينيه وعذبه وأعلنوا خلعه في الثالث من جمادى الأولى سنة (٣٢٢هـ = ٩٣٤م).

ولعل من أبرز التطورات السياسية التي شهدتها عهد «القاهر» - رغم قصره - ظهور النفوذ البويهى في بلاد فارس سنة (٣٢١هـ = ٩٣٣م)، وكان ذلك

مقدمة لامتداد نفوذهم إلى «العراق» وسيطرتهم على مقاليد الأمور هناك في سنة (٣٣٤هـ = ٩٤٥م)، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الخلافة العباسية في عصرها الثاني، كما سنبين بعد قليل.



(١١) الراضى بالله أبو العباس محمد بن المقتدر :

بايع الجند «الراضى بالله» فى السادس من جمادى الأولى سنة (٣٢٢هـ) وعمره خمسة وعشرون عاماً، وقد كان من خيار الخلفاء، فاضلاً سمحاً جواداً، شاعراً محباً للعلماء .

ورغم ما كان يتحلى به «الراضى» من صفات حميدة فإن أمر الخلافة قد اختل فى عهده اختلالاً خطيراً، وازداد تمزق الدولة واستفحل نفوذ المتطلعين للسيطرة على زمام الأمور؛ فقد ازداد نفوذ البويهيين فى فارس وتطلعوا للاستيلاء على «العراق»، وتمتع «بنو حمدان» بنفوذ مطلق فى «الموصل» و«ديار بكر» و«ربيع» و«مضر»، واستقلت «الدولة الإخشيدية» فى «مصر» و«الشام» عن الخلافة العباسية^(٤)، وكذلك «الدولة السامانية» فى «خراسان» و«ما وراء النهر» بزعامة «نصر بن أحمد السامانى»، وأصبح للأمويين خلافة مستقلة فى «الأندلس» تحت حكم «عبد الرحمن الثالث» الأموى الملقب بالناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ = ٩١٣ - ٩٦١م)، وسيطر القرامطة بزعامة «أبى طاهر القرمطى»^(٥) على «البحرين» و«اليامنة».

- ظهور منصب أمير الأمراء : وتدهورت الأوضاع فى أوائل

عهد «الراضى» تدهوراً كبيراً، بسبب عجز الوزراء وازدياد نفوذ كبار القواد وتدخلهم فى شئون الدولة، وكان «محمد بن رائق» والى «واسط» و«البصرة» واحداً من أبرز هؤلاء القواد وأكثرهم نفوذاً وتأثيراً، فاختره الخليفة «الراضى» ليقوم بمهمة إنقاذ الخلافة من التدهور الإدارى الحاد الذى تعاني منه، وأسند إليه منصب «أمير الأمراء» فى عام (٣٢٤هـ = ٩٣٦م).

وقد أصبح «محمد بن رائق» بمقتضى هذا المنصب الخطير الذى لم يظهر قبل ذلك على مسرح الأحداث السياسية فى الدولة الإسلامية القائد الأعلى للجيش، والمسئول عن إدارة شئون الدولة والخراج، وأصدر الخليفة «الراضى» أمراً بأن يُخطب لابن رائق على جميع المنابر فى جميع النواحي الخاضعة للخلافة، وبذلك تحولت الخلافة إلى منصب شرفى، وأصبح شاغل منصب «أمير الأمراء» هو الحاكم الفعلى للبلاد، مما جعل كبار رجال الدولة أمثال «أبى عبدالله البريدى» صاحب «الأهواز»، و«بجكم التركى»، و«ناصر الدولة بن حمدان» صاحب «الموصل»، و«توزون التركى» رئيس الشرطة وغيرهم يتصارعون للوصول إليه، حتى جاء البويهيون فسيطروا على زمام الأمور ووضعوا حداً لهذا الصراع.

وقد توفى الخليفة «الراضى بالله» وفاة طبيعية فى منتصف ربيع الأول سنة (٣٢٩هـ = ديسمبر ٩٤٠م)، بعد أن كان قد فقد السيطرة على مقاليد الأمور بصورة تكاد تكون كاملة.

(١٢) المتقى لله أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر :

تولى الخلافة فى (ربيع الأول سنة ٣٢٩هـ = ديسمبر ٩٤٠م) بتدبير أمير الأمراء «بجكم التركى» وكتبه «أبى عبدالله الكوفى»، وكان عمره حينئذ أربعاً وثلاثين سنة.

وقد كانت خلافة «المتقى» القصيرة (٣٢٩ - ٣٣٣هـ = ٩٤٠ - ٩٤٤م) سلسلة من الصراع بين كبار رجال الدولة على منصب أمير الأمراء، مما أضاف مزيداً من الاضطراب والفوضى إلى الأوضاع الداخلية، وفقد «المتقى» سيطرته على زمام الأمور، فقام أمير الأمراء «توزون التركى» بسمول عينيه وخلعه، وبذلك انتهت خلافته فى صفر سنة (٣٣٣هـ = سبتمبر ٩٤٤).

(١٣) المستكفى بالله وانهاء عصر نفوذ الأتراك :

تمت بيعته بالخلافة فى صفر سنة (٣٣٣هـ = سبتمبر ٩٤٤) بحضور أمير الأمراء «توزون التركى» وإشرافه، وعمره واحد وأربعون عاماً ولم يكن له أدنى سلطة فى إدارة شئون البلاد، بل استمر زمام الأمور بيد أمير الأمراء «أبى الوفاء توزون التركى»، وكتبه «أبى جعفر

بن شيرزاد»، وكان من أبرز الأحداث التى شهدتها خلافة «المستكفى بالله» امتداد سلطان الحمدانيين بقيادة «سيف الدولة الحمدانى» على «حلب» و«حمص» اللتين كانتا تحت سيطرة

لم ينحصر ظهور الحركات الاستقلالية فى عصر نفوذ الأتراك، بل ظهرت هذه الحركات منذ فجر الخلافة العباسية، فاستقل «عبد الرحمن الداخل» بالأندلس سنة (١٣٨هـ = ٧٥٥م) فى عهد «أبى جعفر المنصور»، وقامت «دولة الأدارسة» فى «المغرب الأقصى» على يد «إدريس بن عبدالله»،

الإخشيديين.

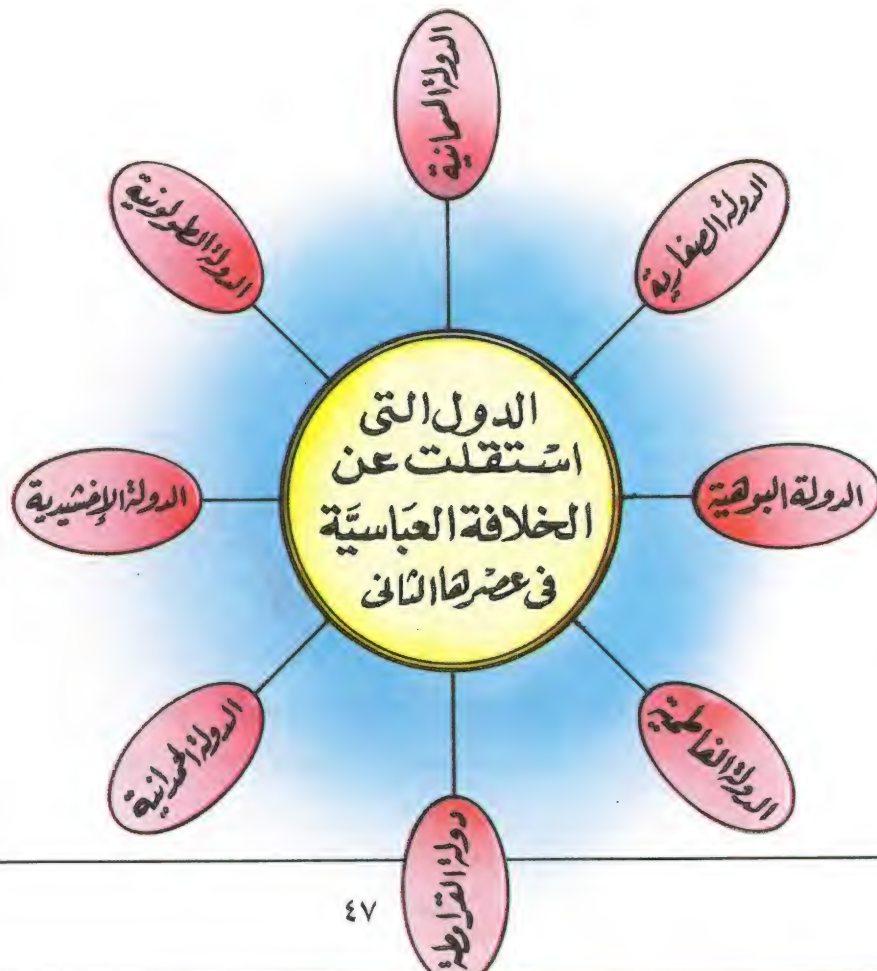
وتدهورت الأحوال الداخلية فى عهد «المستكفى» بشكل غير مسبوق؛ مما أدى إلى تطلع البويهيين - أصحاب النفوذ فى بلاد فارس - منذ سنة (٣٢١هـ = ٩٣٣م) إلى

الدول التى استقلت عن الخلافة العباسية

فى عصر نفوذ الأتراك

و«دولة الأغالبة» على يد «إبراهيم ابن الأغلب» فى «تونس»، فى عهد «هارون الرشيد». وفى خلافة «المأمون» تأسست «الدولة الطاهرية» فى «خراسان» على يد «طاهر بن الحسين» قائد «المأمون» المشهور، وكانت دولتا الأغالبة، والطاهرية تدينان بالولاء الأسمى للخليفة العباسى، وقد

مرت إشارات سريعة إلى الدول التى استقلت عن الخلافة فى عصر نفوذ الأتراك وهى : «الدولة الصفارية»، و«السامانية» و«الطولونية» و«الإخشيدية» و«الحمدانية» و«دولة القرامطة»، و«الدولة الفاطمية»، و«البويهية». وفيما يلى نبذة مختصرة عن أهم هذه الدول :



١ - الدولة الصفارية

[٢٥٤ - ٢٨٩ هـ = ٨٦٨ - ٩٠٢ م]

أسسها «يعقوب بن الليث الصفار»^(٦) في «بلاد فارس» و«خراسان» على أنقاض «الدولة الطاهرية»، في عهد «المعتز بالله» (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ) بعد أن أظهر كفاءة ملحوظة في محاربة الخارجين على الخلافة والتخلص من الطاهريين بإذن من الخليفة العباسي «المعتز بالله».

واستطاع «يعقوب بن الليث» أن يضم إلى «الدولة الصفارية» كثيراً من الأماكن التي استطاع السيطرة عليها في «بلاد فارس» و«خراسان» وأعلن ولاء دولته - في البداية - للخلافة العباسية.

وعندما تولى «المعتز على الله» الخلافة، أصر أخوه «الموفق» على أن يكون ولاء «الدولة الصفارية» للخلافة ولاء تاماً لا صورياً، إلا أن «يعقوب بن الليث» رفض ذلك، وتدهورت العلاقة بين الطرفين، وهدد «يعقوب» بدخول عاصمة الخلافة وبسط سلطانه عليها، مما أدى إلى حدوث صدام مسلح بين «الدولة الصفارية»، والخلافة في منطقة «واسط» بالعراق، وكان لظهور الخليفة العباسي «المعتز» على رأس جيش الخلافة أثر كبير في هزيمة «يعقوب بن الليث»، ورغم هزيمته فقد استمر في تحدى الخلافة ورفض التفاهم معها حتى توفى في «جنديسابور» سنة (٢٦٥ هـ = ٨٧٩ م) ثم تولى رئاسة «الدولة الصفارية» بعد وفاة «يعقوب» ابن الليث «أخوه عمرو بن

الليث»، الذي كان حريصاً على كسب ود الخلافة حتى يؤكد سلطانه الروحي في بلاده، فاعترف به الخليفة «المعتز» والياً على «خراسان» و«السند» و«سجستان» و«كرمان» و«فارس» و«أصبهان»، وعندما تولى «المعتز» الخلافة بعد وفاة عمه «المعتز» أقر «عمراً» على ما في يده.

وقد نشط «عمرو» في توسيع حدود دولته وتطلع إلى غزو بلاد «ما وراء النهر»، حيث «الدولة السامانية»، وعبر «نهر جيحون» ولكن السامانيين تصدوا له بقيادة زعيمهم «إسماعيل بن أحمد الساماني» وهزموه، وأخذوه أسيراً إلى الخليفة «المعتز» الذي سجنه حتى مات في سجنه سنة (٢٨٧ هـ = ٩٠٠ م) وقد تولى زعامة الصفاريين بعد هزيمة «عمرو» وأسر حفيده «طاهر بن محمد بن عمرو»، ولكن أحوال الصفاريين تدهورت بشدة خلال هذه الفترة نتيجة الهجمات المتلاحقة التي شنّها عليهم السامانيون، وسقطت دولتهم سنة (٢٨٩ هـ = ٩٠٢ م).



وقد لاحظ المؤرخون أن قادة هذه الدولة اتبعوا في حياتهم مبدأ العدالة والمساواة والأخوة، والبعد عن مظاهر الترف، فكانت حياة رئيس الدولة لا تكاد تختلف في مظهرها عن حياة أحد جنوده، وكان العطاء يوزع بالإنصاف والعدل، وقد ازدهر اقتصاد الدولة نتيجة البعد عن إنفاق الأموال في غير وجوهها، فيروى أن «يعقوب بن الليث» ترك في خزانة الدولة عند وفاته ثمانين مليون دينار وخمسين مليون درهم، ولكن يؤخذ عليه اعتداده بقوته وطاعة جنده فتمرد على الخلافة وحاول الاستقلال عنها؛ مما زعزع ثقتها به وكان له آثاره السلبية على تماسك الدولة واستمرارها.

٢ - الدولة السامانية

[٢٦١ - ٣٨٩ هـ = ٨٧٥ - ٩٩٩ م]

ظهر السامانيون على المسرح السياسي لدولة الخلافة العباسية في عصر الخليفة «المأمون» (١٩٨ - ٢١٨ هـ = ٨١٣ - ٨٣٣ م)، وسموا بذلك نسبة إلى قرية «سامان» القريبة من «سمرقند»؛ حيث كانوا يتوارثون إمارتها، ويسمى أميرهم «سامان خده»، أي كبير قرية «سامان» وصاحبها.

وقد اعتنق أحد السامانيين الإسلام أثناء خلافة الأمويين، وسمى ابنه «أسداً»، كاسم حاكم «خراسان» في عهد «هشام بن عبد الملك»، واسمه «أسد بن عبد الله القسري».

وطال العمر بأسد الساماني حتى أدرك «المأمون»، فذهب إليه في «مرو»، قبل انتقاله إلى «بغداد» (في الفترة من سنة ١٩٣ هـ = ٨٠٩ م إلى سنة ٢٠٢ هـ = ٨١٧ م)، ومعه أبناءه الأربعة: «نوح» و«أحمد»، و«إلياس»، و«يحيى»، فاحتفى بهم «المأمون» وألحقهم بخدمته.

وبعد انتقال «المأمون» إلى «بغداد» أمر بإسناد عمل إلى كل واحد من أبناء «أسد الساماني»، فتم إسناد حكم «سمرقند» إلى «نوح»، وحكم «فرغانة» إلى «أحمد»، وحكم «الشاش» إلى «يحيى»، وحكم «هراة» إلى «إلياس»، فكان هذا مقدمة لتمكن نفوذ السامانيين في هذه المناطق



المعروفة باسم «بلاد ما وراء النهر» «ما وراء النهر» إلى «نصر بن أحمد (نهر جيحون)». ابن أسد الساماني، فأقام «نصر» وقد برز «أحمد بن أسد» حاكم «فرغانة» على إخوته، وكان له سبعة أبناء هم «نصر» و«يحيى» و«يعقوب» و«إسماعيل» و«إسحاق» و«أسد» و«حميد»، وعند وفاته سنة (٢٥٠ هـ = ٨٦٤ م) حل محله ابنه الأكبر «نصر»، ودان له باقي إخوته بالطاعة والولاء.

وفي سنة (٢٦١ هـ = ٨٧٥ م) حدث التحول الحاسم في تاريخ السامانيين، حينما أسند الخليفة «المعتز على الله» ولاية جميع بلاد «ما وراء

النهر»؛ لذلك يرى بعض المؤرخين أن «إسماعيل بن أحمد بن أسد الساماني» هو المؤسس الحقيقي للدولة السامانية؛ حيث خضع له سائر الأمراء السامانيين، ووسع حدود الدولة، فضم لها «خراسان» ومعظم البلاد التي كانت خاضعة لنفوذ «الدولة الصفارية»، وبلغت «الدولة السامانية» قمة مجدها في عهده (من ٢٧٩ - ٢٩٥هـ = ٨٩٢ - ٩٠٨م) ثم في عهد حفيده «نصر بن أحمد بن إسماعيل» (من ٣٠١ - ٣٣١هـ = ٩١٣ - ٩٤٣م) وبدأت «الدولة السامانية» تتدهور منذ عهد «نوح بن نصر» (٣٣١ - ٣٤٣هـ = ٩٤٣ - ٩٥٤م)، حتى سقطت في يد الغزنويين سنة (٣٨٩هـ = ٩٩٩م).

وقد كانت «الدولة السامانية» ملتزمة بمذهب أهل السنة، وكانت علاقتها بالخلافة العباسية علاقة احترام وإجلال؛ حيث كان أمراؤها يعدون أنفسهم نواباً عن الخليفة. وقد ازدهرت الحياة العلمية في عصر السامانيين، وكانت «بخارى»، و«سمرقند» تنافسان «بغداد» في مكانتها العلمية والأدبية، بسبب تشجيع الأمراء السامانيين للعلم وحبهم للعلماء، فقد سمح الأمير الساماني «أبو القاسم نوح بن منصور» (نوح الثاني) لابن سينا

باستخدام مكتبة قصره، كما قام الطبيب والفيلسوف المشهور «أبو بكر الرازي» (٢٥١ - ٣١٣هـ = ٨٦٥ - ٩٢٥م) بإهداء كتابه المعروف في الطب «المنصوري» إلى الأمير الساماني «أبي صالح منصور

ابن إسحاق» أمير «سجستان». وقد شهد الأدب الفارسي أيضاً عصره الذهبي خلال حكم السامانيين، وعاش الشاعر الفارسي المعروف «الفردوسي» شطراً من حياته في عصر «الدولة السامانية».



٣ - دولة بني حمدان في الموصل وحلب

[٢٩٣ - ٣٩٢هـ = ٩٠٦ - ١٠٠٢م]



ينتمي الحمدانيون إلى «حمدان ابن حمدون بن الحارث» من قبيلة «تغلب»، وقد ظهر نفوذ «حمدان» في شمال «العراق» سنة (٢٥٤هـ) أثناء خلافة «المعتز بالله»، وتعاون مع خوارج الجزيرة في شمال «العراق»، واستطاع أن يسيطر على بعض المواقع الحصينة هناك، وأهمها «قلعة ماردين»، ولكن الخليفة «المعتضد بالله» استطاع استردادها، وقبض على «حمدان» وسجنه.

تعهد «حسين بن حمدان» بالطاعة والولاء للخليفة «المعتضد» وساعده في حربه ضد الخوارج حتى هزمهم، فقربه الخليفة وعفا عن والده «حمدان بن حمدون».

وفي خلافة «المكتفي بالله» (٢٨٩ - ٢٩٥هـ = ٩٠٢ - ٩٠٨م) تعاظمت مكانة «حسين بن حمدان» وقام بدور بارز في الحرب ضد القرامطة وفي الحملة التي جهزها العباسيون لاسترداد «مصر» من يد الطولونيين في سنة (٢٩٢هـ = ٩٠٥م).

وقد شارك «حسين بن حمدان» في المؤامرة الفاشلة التي دبرها أنصار «ابن المعتز» لخلع «المقتدر»، وهرب حتى عفا عنه «المقتدر» وأسند إليه ولاية بعض البلاد وأهمها «ديار ربيعة» بالجزيرة سنة (٢٩٨هـ = ٩١١م)، إلا أنه حدث

بينه وبين «علي بن عيسى» وزير «المقتدر» نزاع انتهى بالقبض عليه، وقتله في سجنه سنة (٣٠٦هـ = ٩١٨م). ورغم أن «حسين بن حمدان» كان من أعظم الأمراء بأساً وشجاعة، وكان أول من ظهر أمره من ملوك «بني حمدان» فإن أخاه «أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان» كان أعمق تأثيراً وأوسع نفوذاً في تاريخ الأسرة الحمدانية، وقد ولاه الخليفة «المكتفي» إمارة «الموصل» وتوابعها سنة (٢٩٣هـ = ٩٠٦م)، ويعد «أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان» المؤسس الحقيقي لمملكة الحمدانيين في «الموصل»، التي ظل حاكماً لها إلى أن قتل سنة (٣١٧هـ = ٩٢٩م) عقب اشتراكه في المؤامرة الفاشلة لخلع الخليفة «المقتدر»، وقد خلفه ابنه «حسن» الملقب بناصر الدولة،

واستطاع أن يمد سلطانه على أقاليم الجزيرة الثلاثة: «ديار ربيعة»، و«ديار مضر» و«ديار بكر»، بإذن من الخليفة «الراضي»، حتى أقعدته الشيخوخة، فخلفه على الحكم ابنه «فضل الله أبو تغلب الغضنفر» سنة (٣٥٣هـ = ٩٦٤م). وقد دخل «ناصر الدولة» وابنه «أبو تغلب الغضنفر» في صراع طويل مع البويهيين، أصحاب السلطة في «العراق» منذ سنة (٣٣٤هـ = ٩٤٥م)، وانتهى هذا الصراع بهزيمة «أبي تغلب الغضنفر» أمام «عضد الدولة البويهى» سنة (٣٦٨هـ = ٩٧٩م)، وانتهت بذلك مملكة الحمدانيين في «الموصل» و«الجزيرة».

أما «الدولة الحمدانية» في «حلب»، فقد أسسها «علي بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان»،

٤ - دولة بني بويه قبل انتقالها إلى بغداد

ينتسب البويهيون إلى «أبي شجاع بويه» الذي نشأ في «بلاد الديلم» التي تقع جنوب غرب «بحر قزوين» أو «بحر الخزر» بين منطقتي «طبرستان» و«الجبال». وكانت هذه البلاد معقلاً لنفوذ العلويين، فانتشر فيها التشيع.



ورغم أن «أبا شجاع بويه» كان فقيراً فإنه كان يتحلى بروح المغامرة والشجاعة، كما تشرب الروح الشيعية التي كانت سائدة في «بلاد الديلم».

وقد انضم «أبو شجاع» إلى العلويين في صراعهم مع السامانيين، ومع ذلك فلم يكن هو المؤسس الحقيقي لأسرة «بني بويه»، وإنما كان أبناؤه الثلاثة «علي»، و«حسن»، و«أحمد» هم الذين قاموا بذلك، فقد التحق أبناؤه بخدمة «ماكان بن كاكى» أحد القواد البارزين المناصرين للداعية الشيعي «الحسن بن علي»، الملقب بال«أطروش»، وأبرزوا تميزاً في خدمته فارتقوا من مرتبة الجنود إلى رتبة القادة، ثم حدث صراع بين «ماكان» و«مرداويج بن زيار» أحد القادة الفرس في منطقة «الديلم»، وأحس أبناء «بويه» أن كفة «مرداويج» هي الراجحة في هذا الصراع، فانضموا إليه، فيما بين عامي (٣١٦-٣١٧هـ = ٩٢٨ - ٩٢٩م)، وكان ذلك بداية تمكن نفوذهم في فارس والمناطق المحيطة بها.

وقد ظهر «بنو بويه» - أو البويهيون - على مسرح الأحداث في أواخر عصر نفوذ الأتراك، فبدءوا منذ عام (٣٢١هـ = ٩٣٣م) يؤسسون لأنفسهم مناطق نفوذ تخضع لسيطرتهم التامة، فاستولوا على «فارس»، و«شيراز» و«أصبهان»، و«الري»، و«همدان» و«الكرج» و«كرمان»، وأغراهم ذلك على التطلع إلى مد نفوذهم إلى «العراق» موطن الخلافة العباسية.



وكان «سيف الدولة الحمداني» أديباً شاعراً، فجمع حوله العلماء والأدباء، مثل «أبي نصر الفارابي»، و«ابن خالويه»، و«أبي الطيب المتنبي»، و«أبي فراس الحمداني» و«ابن نباتة» و«السري الرفاء»، وغيرهم.

وتوفي «سيف الدولة» سنة (٣٥٦هـ = ٩٦٧م)، وخلفه في الحكم ابنه «أبو المعالي شريف» المعروف بسعد الدولة، وضعفت في عهده سلطة الحمدانيين في «الشام»؛ لكثرة الضغوط التي تعرض لها من البيزنطيين والبويهيين في «العراق»، والفاطميين في «مصر» بغرض الاستيلاء على «الشام».

الملقب بسيف الدولة؛ حيث استطاع بمعاونة أخيه الأكبر «ناصر الدولة» انتزاع «حلب» من الإخشيديين سنة (٣٣٣هـ = ٩٤٤م)، ثم استطاع بعد ذلك أن يسطر سلطانه على «حمص» و«قنسرين» و«العواصم» وبعض بلاد «الجزيرة» سنة (٣٣٦هـ = ٩٤٧م).

وقد قام «سيف الدولة الحمداني» بمهمة جليلة أثناء حكمه الذي استمر حتى سنة (٣٥٦هـ = ٩٦٧م)، وهي حماية حدود دولة الخلافة من غارات الروم (البيزنطيين) المتواصلة، بعد أن ضعفت الخلافة المركزية عن القيام بهذه المهمة المقدسة.

ثانياً : عصر نفوذ البويهيين

(٣٣٤ - ٤٤٧ هـ = ٩٤٥ - ١٠٥٥ م)

عندما دخل «أحمد بن بويه» «بغداد» في جمادى الأولى سنة (٣٣٤ هـ = ديسمبر ٩٤٥ م) كان «المستكفي بالله» هو الخليفة العباسي، ولم يكن أمامه إلا أن يظهر الترحيب به، بل إنه زاد على ذلك فخلع عليه الخُلْع ولقبه «معز الدولة»، كما لقّب أخاه «علياً» «عماد الدولة»، وأخاه «الحسن» «ركن الدولة»، وأمر بأن تُضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدرهم، وكان «علي بن بويه» حاكماً لإقليم «فارس»، و«الحسن ابن بويه» حاكماً لعدة أقاليم أهمها «الري»، و«الجليل»، و«أصفهان»، في حين دخل أخوهم الأصغر «أحمد» «بغداد».

وقد تدهورت أحوال «الخليفة العباسية»، واندثرت معالمها من الناحية الواقعية حينما سيطر البويهيون على «بغداد»، فقد جردوا الخليفة من كل سلطاته، وعدّوه مجرد موظف مهمته إضفاء صفة الشرعية على سلطانهم لدى جماهير المسلمين، فحدّدها له راتبه، وسلّبه حقه في تعيين الوزراء، وسمحوا له بأن يتخذ كاتباً (سكرتيراً) فقط يشرف على أمواله.

ورغم أن البويهيين كانوا شيعة، فإنهم لم يسقطوا الخلافة العباسية السنيّة في «بغداد»، ليحلوا محلها خلافة علوية شيعية تتفق مع مذهبهم، وسبب ذلك علمهم أن وجود خليفة من العلويين يهدد ملكهم وسلطانهم، وليس الأمر كذلك مع الخليفة السني الذي يستطيعون هم أن يفعلوا به ما يشاءون. وقد برهن سلوك البويهيين مع الخليفة «المستكفي» على صدق ذلك، فقبل مرور شهر على



طبق فضي من العصر البويهي

وإذا استبعدنا خلافة «المستكفي»، فإننا نجد أن الخلفاء الذين شهدوا عصر نفوذ البويهيين كانوا أربعة هم :

- ١ - المطيع لله «أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد» [٣٣٤ - ٣٦٣ هـ = ٩٤٥ - ٩٧٤ م].
- ٢ - الطائع لله «أبو بكر عبد الكريم بن المطيع» [٣٦٣ - ٣٨١ هـ = ٩٧٤ - ٩٩١ م].
- ٣ - القادر بالله «أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر» [٣٨١ - ٤٢٢ هـ = ٩٩١ - ١٠٣١ م].

- ٤ - القائم بأمر الله «أبو جعفر عبد الله بن القادر» [٤٢٢ - ٤٦٧ هـ = ١٠٣١ - ١٠٧٥ م].

أولاً : خلافة المطيع لله :

بعد أن أمر «معز الدولة أحمد ابن بويه» بخلع «المستكفي» في جمادى الآخرة سنة (٣٣٤ هـ = ٩٤٥ م)، أحضر «أبا القاسم الفضل ابن المقتدر» وبايعه بالخلافة، ولقبه بالمطيع لله، وعمره - حينئذ - أربع وثلاثون سنة، وحدد له «معز الدولة» راتباً مائة دينار في اليوم.

وقد شهدت خلافة «المطيع» أحداثاً كثيرة، أولها : نشوب الصراع بين البويهيين في «بغداد» بزعامة «معز الدولة» (أحمد بن بويه)، وبين الحمدانيين في «الموصل» بزعامة «ناصر الدولة» (الحسين بن عبد الله)، وقد استمر

هذا الصراع طويلاً في محاولة كل منهما الإطاحة بالآخر، وفي المحرم سنة (٣٣٥ هـ = أغسطس ٩٤٦ م) تم الصلح بين «معز الدولة البويهي» وبين «ناصر الدولة الحمداني» على أن يدفع «ناصر الدولة» الخراج للبويهيين في «بغداد» كل عام.

وفي سنة (٣٣٦ هـ = ٩٤٧ م) استطاع «معز الدولة» أن يستولي على «البصرة» بعد هروب صاحبها «أبي القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي» إلى القرامطة في «هجر».

وجدير بالذكر أن «معز الدولة» كان نائباً في «بغداد» عن أخيه الأكبر «عماد الدولة» (علي بن بويه) في «فارس»، ثم عن أخيه الأوسط «ركن الدولة» (الحسن بن



إبريق من الذهب من آثار العصر البويهي

بويه)، عقب وفاة «عماد الدولة». ورغم أن الخليفة العباسي كان تحت سيطرة البويهيين فإنهم كانوا يخضعون له من الناحية الشكلية فقط.

وقد حاول البويهيون صبغ «العراق» بمذهبهم الشيعي، واتخذ «معز الدولة» في سبيل ذلك خطوات بالغة الخطورة أسهمت في إثارة عوامل الفتنة والاضطراب داخل مجتمع «العراق»؛ ففي ربيع الآخر سنة (٣٥١ هـ = مايو ٩٦٢ م) أصدر «معز الدولة» أمراً بأن يُكتب على المساجد لَعْنُ «معاوية بن أبي سفيان» وغيره من الصحابة كأبي بكر و«عمر»، حيث يتهمهم الشيعة بإساءة معاملتهم وغصبهم



حقوقهم، ولم يستطع الخليفة العباسي منع ذلك، وفي العاشر من المحرم سنة (٣٥٢هـ = يناير ٩٦٣م) أصدر «معز الدولة» أمراً بتوقف الناس عن البيع والشراء في ذلك اليوم، وإظهار البكاء والعويل، وأمر النساء أن يخرجن حاسرات الرؤوس قد شققن ثيابهن وهن يلطمن الوجوه على «الحسين بن علي بن أبي طالب» في ذكرى استشهاده بكرىلاء، وكان هذا أول يوم يحدث فيه ذلك ببغداد، ولم يستطع الخليفة وأهل السنة أن يمنعوا ذلك لكثرة الشيعة ومناصرة السلطان «معز الدولة» لهم.

وقد أحدثت هذه المظاهر الشاذة آثارها السيئة بين الناس، ففي العاشر من المحرم سنة (٣٥٣هـ = يناير ٩٦٤م) - على سبيل المثال - تم إغلاق الأسواق في «بغداد»، وفعل الناس ما تقدم ذكره، فثارت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنة، أصيب فيها كثيرون ونُهبت الأموال، وجدير بالذكر أن هذه الممارسات التي شجعها البويهيون مازالت آثارها موجودة حتى الآن.

ومن أهم ما سجله «معز الدولة» من انتصارات: تخليص «عمان» في ذي الحجة سنة (٣٥٥هـ = نوفمبر ٩٦٦م) من يد القرامطة الذين كانوا

واستولى على أموال كبار رجال الدولة وعلى رأسهم الخليفة في سبيل ذلك.

ففي سنة (٣٦١هـ = ٩٧٢م) هاجم الروم ثغور «الجزيرة» ومن بينها «الرها» و«نصيبين»، فأحرقوا البلاد وخربوها وغنموا وسلبوا ما استطاعوا ولم يجدوا من يردعهم بعد وفاة «سيف الدولة الحمداني» سنة (٣٥٦هـ = ٩٦٧م)، فسار جماعة من أهل «الجزيرة» إلى «بغداد» لاستنفار المسلمين ضد الروم، فاستعظم الناس ذلك، وتوجهوا إلى «عز الدولة بختيار»، وأنكروا عليه انشغاله باللهو والصيد عن جهاد الروم الذين انتهكوا حرمة دار الإسلام، فوعدهم بالإعداد لغزوهم، واتصل بالخليفة «المطيع لله» يطلب منه المال ليجهز به المسلمين للغزو، ولكن «المطيع لله» أجابه بقوله: «إن الغزاة والنفقة عليها، وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني إذا كانت الدنيا في يدي، وتُجَبَّى إلى الأموال، وأما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء من ذلك، وإنما يلزم من البلاد في يده، وليس لي إلا الخطبة، فإن شئت أن أعزل فعلت»، فهدد «بختيار» الخليفة «المطيع» واضطره إلى دفع أربعمئة ألف درهم، فلما قبضها «عز الدولة» صرفها في مصالحه وملذاته!

وقد قدم «عز الدولة» صورة صارخة لانصرافه عن المهام الكبرى واهتمامه بملذاته الشخصية، فقد أنفق وقته في اللهو والتسليه وعشرة النساء والاستماع إلى الغناء،

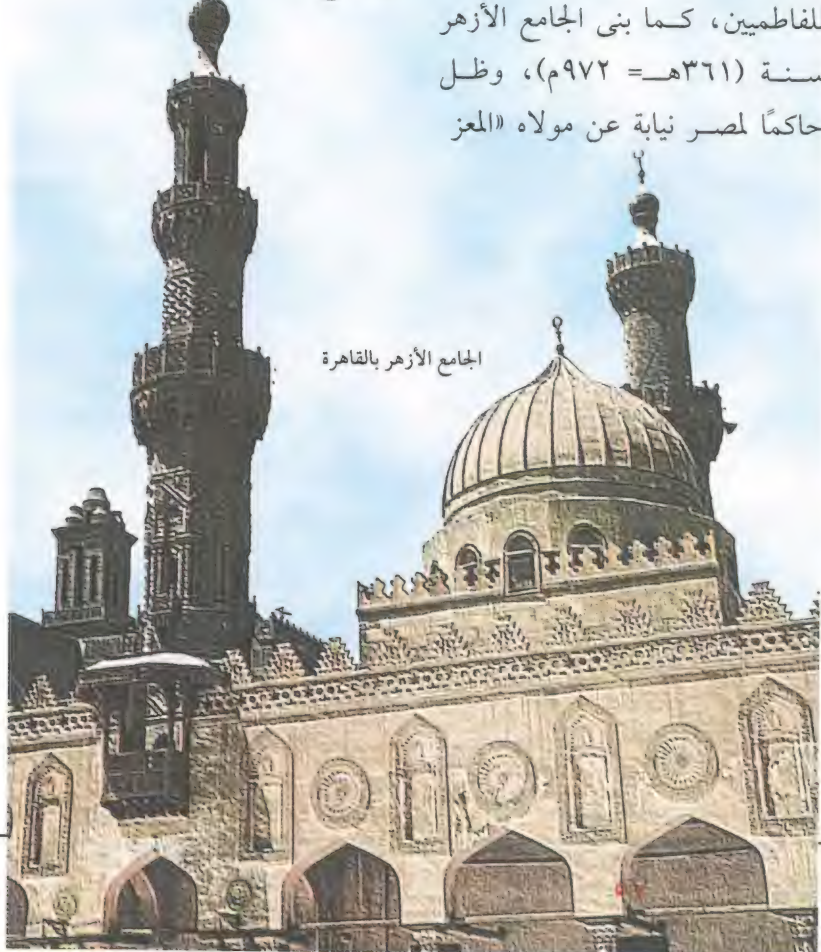
ونتيجة لسوء طبع بختيار واضمحلال شخصيته، بدأت

أسباب الشقاق والفتنة تظهر بين البويهيين، فقد حاول ابن عمه «ركن الدولة» والملقب فيما بعد «عضد الدولة» انتزاع «العراق» من «بختيار» ولكن والده «ركن الدولة» اعترض على ذلك، فاضطر «عضد الدولة» إلى تأجيل ذلك إلى ما بعد وفاة والده.

ولعل من أخطر الأحداث التي شهدتها خلافة «المطيع لله» سيطرة الفاطميين على «مصر» سنة (٣٥٨هـ = ٩٦٩م) وكانت «مصر» حينئذ تحت حكم الإخشيديين الذين كانوا يخضعون للخليفة العباسي من الناحية الشكلية، فلما دخلها القائد الفاطمي «جوهري الصقلي» في شعبان سنة (٣٥٨هـ = يونيو ٩٦٩م)، شرع في بناء مدينة «القاهرة»؛ لتصبح عاصمة للفاطميين، كما بنى الجامع الأزهر سنة (٣٦١هـ = ٩٧٢م)، وظل حاكماً لمصر نيابة عن مولاه «المعز

لدين الله»^(٧) حتى سنة (٣٦٢هـ = ٩٧٣م)، حين قدم «المعز» إلى «مصر» في رمضان من هذه السنة، فقام بالأمر وأصبحت «مصر» منذ ذلك الوقت مقراً للخلافة الفاطمية الشيعية حتى سنة (٥٦٧هـ = ١١٧٢م).

ظل «المطيع لله» في الخلافة ما يقرب من «ثلاثين عاماً»، حتى أصيب بالفالج - وهو الشلل النصفي - في أواخر حياته فتعذرت حركته وثقل لسانه، مما دعا «سُبُكتكين»، حاجب «عز الدولة بختيار» إلى أن يطلب منه خلع نفسه وتسليم الخلافة إلى ابنه «عبدالكريم»، فتم ذلك في (١٣ من ذي القعدة سنة ٣٦٣هـ = يوليو ٩٧٤م)، ولقب «عبدالكريم» بالطائع لله.



الجامع الأزهر بالقاهرة

ثانيًا : خلافة الطائع لله (٣٦٣-
٣٨١هـ = ٩٧٤ - ٩٩١م) :

تولى «الطائع لله» الخلافة في
ذي القعدة سنة (٣٦٣هـ = يوليو
٩٧٤م) وعمره ثلاث وأربعون سنة،
وقد توفى والده «المطيع لله» بعد
ذلك بفترة قصيرة، في المحرم سنة
(٣٦٤هـ = سبتمبر ٩٧٤م).

في بداية خلافة «الطائع لله»
حدثت الفتنة بين «عضد الدولة بن
ركن الدولة»، وابن عمه «بختيار
ابن معز الدولة»، فقد شجع «عضد
الدولة» جند «بختيار» على الثورة
عليه ووعدهم بالإحسان إليهم
والنظر في أمورهم، فثار عليه الجند
وتم القبض على «بختيار» وحبسه
في جمادى الآخرة سنة (٣٦٤هـ =
فبراير ٩٧٥م)، وأصبحت «بغداد»
و«العراق» تحت سلطان «عضد
الدولة».

وقد عز على «ركن الدولة» أمير
أمرأ البيت البويهى ووالد «عضد
الدولة» أن يتصرف ابنه «عضد
الدولة» مع ابن أخيه «بختيار» بهذه
الصورة، فكتب إلى أنصار «بختيار»
يساندهم ويأمروهم بالثبات والصبر
ويعرفهم أنه عازم على المسير إلى
«العراق» لإخراج «عضد الدولة»
وإعادة «بختيار»، فانصرف أنصار
«عضد الدولة» عنه واضطر إلى
الإذعان لإرادة أبيه، فأخرج
«بختيار» من سجنه ورد إليه ما
سلبه من سلطانه، وعاد إلى

«فارس» في شوال سنة (٣٦٤هـ =
يونيو ٩٧٥م)، وكان الخليفة «الطائع
لله» مسلوب الإرادة خلال هذه
الفتنة، لاحول له ولا قوة.

وقد قسم «ركن الدولة» ملكه
بين أولاده في جمادى الأولى سنة
(٣٦٥هـ = يناير ٩٧٦م) فجعل لابنه
«عضد الدولة» ملك البلاد من
بعده، ولولده «فخر الدولة» (أبي
الحسن على) «همدان» وأعمال
«الجيل»، ولولده «مؤيد الدولة»
(أبي منصور بويه) «أصبهان»
وأعمالها، وجعلهما تحت رئاسة
أخيها «عضد الدولة»، وأوصاهم
بالاتفاق وترك التنازع.

وفي المحرم سنة (٣٦٦هـ =
أغسطس ٩٧٦م) توفى «ركن
الدولة» فأصبح ابنه «عضد الدولة»
زعيم البويهيين بلا منازع.

وفي العام نفسه حشد «عضد
الدولة» جنوده لغزو «العراق»،
وكان «بختيار» ووزيره «أبو طاهر
محمد بن محمد بن بقية» يعلمان
نيات «عضد الدولة» فحاولا استمالة
كبار الأمراء من حكام الأقاليم
المختلفة، مثل «فخر الدولة ابن ركن
الدولة»، و«أبي تغلب بن حمدان»
وغيرهما، وحدثت بعض المعارك
بين جيوش «عضد الدولة» وجيوش
«بختيار» سنة (٣٦٦هـ = ٩٧٦م)
انتهت بهزيمة «بختيار» وفراره من
«بغداد» إلى «الموصل» حيث تحالف
مع واليها «أبي تغلب ابن حمدان»

ضد «عضد الدولة»، فسار إليهما
«عضد الدولة» وهزمهما بالقرب من
«تكريت» في شوال سنة (٣٦٧هـ =
مايو ٩٧٨م) وأسر «بختيار» وقتله،
وضم مملكة الحمدانيين في
«الموصل» و«الجزيرة» إلى أملاكه،
واتخذ «العراق» مقرا لحكمه.

اهتم «عضد الدولة» بدعم
سلطانه وتوسيع أملاكه؛ ففي سنة
(٣٦٨هـ = ٩٧٨م) فتح «ميافارقين»
و«آمد» و«ديار بكر»، و«ديار
مضر» منهياً بذلك نفوذ «أبي تغلب
ابن حمدان» في بلاد «الجزيرة».

وفي عام (٣٦٩هـ = ٩٧٩م)
استولى على الأقاليم الخاضعة
لأخيه «فخر الدولة» بسبب وقوفه
إلى جانب «بختيار»، فاستولى على

«همدان» و«الري» وما بينهما من
البلاد، وعين عليها أخاه «مؤيد
الدولة» نائباً عنه في حكمها، وفي
سنة (٣٧١هـ = ٩٨١م) ضم إلى
نفوذه بلاد «جرجان» و«طبرستان»
بعد أن أجلى عنها صاحبها «قابوس
ابن أبي طاهر وشمكير» (أحد
أمرأ آل زيار)^(٨)، فتعاضم بذلك
نفوذ «عضد الدولة» وذاع صيته
وتمكنت هيبتة، وكان أول من
خوطف بشاهنشاه في الإسلام،
وأول من خطب له على منابر
«بغداد» بعد الخلفاء.

وقد كان لعضد الدولة إنجازات
حضارية بالإضافة إلى أمجاده
الحربية، فبعد دخوله «بغداد» بدأ
في عمارتها، كما أمر بإخراج

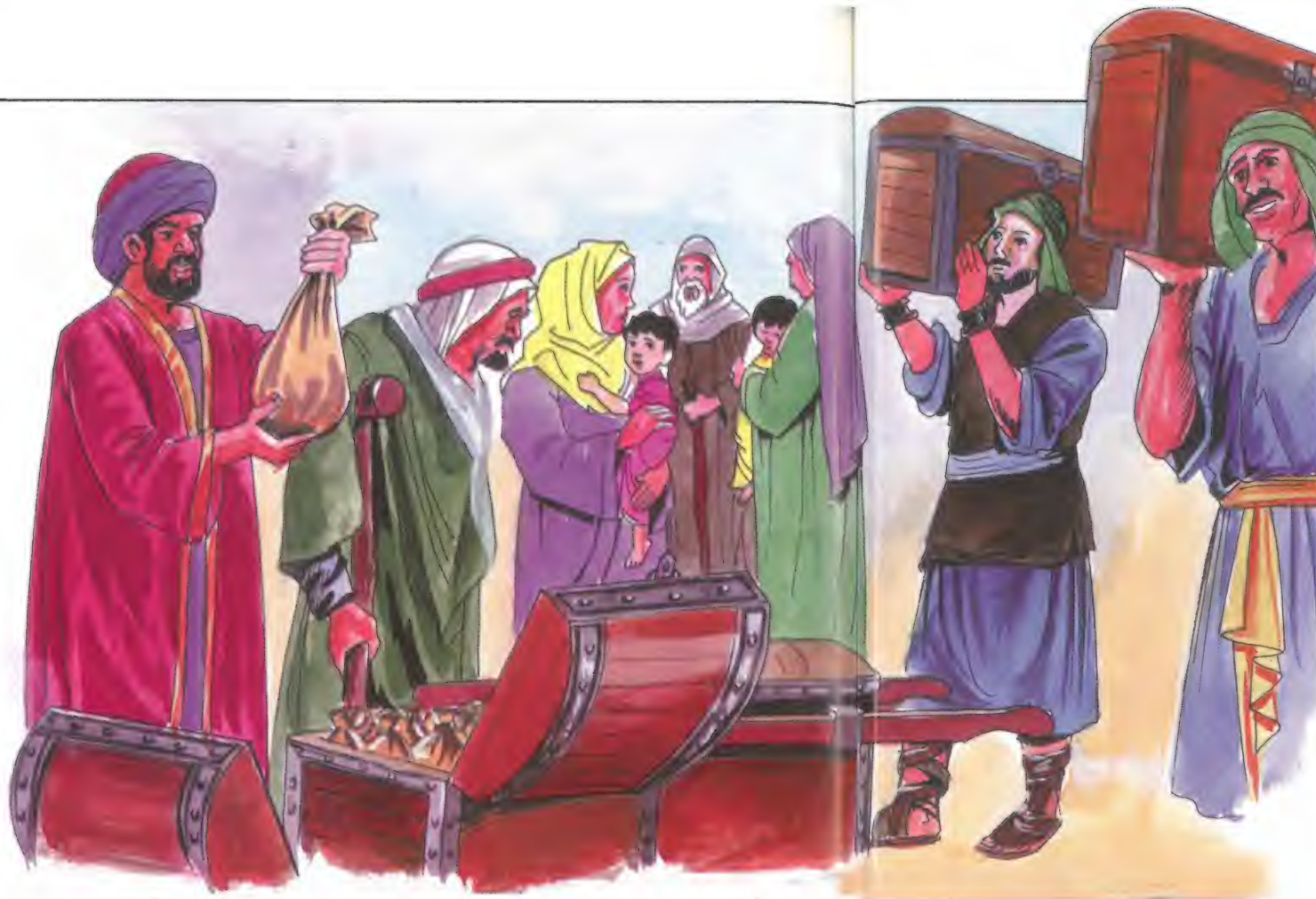
أموال الصدقات وتسليمها
للقضاة وأعيان الناس، لإعانة من
يستحق، ويدفع أموال للعاطلين
الذين يتعذر عليهم الحصول على
العمل، ما يكفي احتياجاتهم، ثم
يردونها بعد ذلك إذا عملوا.

كما اهتم «عضد الدولة» بالعلم
والعلماء، وأغدق عليهم العطاء
وأحاطهم بمظاهر التكريم، وقد كان
مجلسه منتدى للعلماء، تدور فيه
المناقشات الدقيقة في فروع العلم
المختلفة، وكان يشترك مع العلماء
في هذه المناقشات ويعارضهم في
المسائل، ومن أبرز هؤلاء العلماء
«أبو على الفارسي» الذي صنف له
كتاب «الإيضاح» و«التكملة» في
النحو، وكان «عضد الدولة» يقول:

«أنا غلام أبي على في النحو»،
ومنهم أيضاً «أبو إسحاق الصابي»
الذي صنف لعضد الدولة كتاب
«التاجي في أخبار بني بويه».

وكان «عضد الدولة» يحب
الشعر ويطلب له، ويقرضه أحياناً،
ويغمر الشعراء بفيض كرمه وجزيل
عطائه، فقصده عدد من فحول
الشعراء في عصره، وكتبوا فيه أروع
قصائد المديح، وفي مقدمتهم «أبو
الطيب المتنبى» سنة (٣٥٤هـ =
٩٦٥م)، و«أبو الحسن محمد بن
عبدالله السلمي» أبرز شعراء
«العراق»، وكان «عضد الدولة»
يقول: «إذا رأيت السلمي في
مجلسي ظننت أن عطار قد نزل
من الفلك إلى ووقف بين يدي».

وقد اقتدى «مؤيد الدولة»
و«فخر الدولة» بأخيها «عضد
الدولة» في تشجيع العلم وإكرام
أهله، فعين «مؤيد الدولة»
«الصاحب بن عباد» وزيراً له سنة
(٣٦٦هـ = ٩٧٦م)، وكان من أعظم
رعاة العلم والأدب، وعقب وفاة
«مؤيد الدولة» واستيلاء أخيه «فخر
الدولة» على مملكته أقر «الصاحب
ابن عباد» على وزارته، وعين مفكر
المعتزلة المشهور «عبدالجبار بن
أحمد» قاضى قضاة للرى سنة
(٣٦٧هـ = ٩٧٨م) لصلته بالصاحب
ابن عباد، ثم عزله «فخر الدولة»
سنة (٣٨٥هـ = ٩٩٥م) حينما
توفى «الصاحب بن عباد».



- وفاة عضد الدولة وبداية التفكك في البيت البويهى:

تُوفِّي «عضد الدولة» في شوال سنة ٣٧٢هـ = مارس ٩٨٣م، وعمره ثمان وأربعون سنة^(٩)، وقد تركت وفاته فراغًا هائلًا تعذر على خلفائه أن يملئوه.

وكان أخطر ما ترتب على وفاة «عضد الدولة»، الصراع الذى نشب بين أولاده الخمسة على السلطة، وهم: «أبو كاليبجار المرزبان» (صمصام الدولة)، و«أبو الحسين أحمد»، و«أبو طاهر فيروز شاه»، و«أبو الفوارس شيرزىل» الملقب «شرف الدولة»، و«أبو نصر فيروز» الملقب «بهاء الدولة».

وقد استقر الأمراء والقادة على اختيار «أبى كاليبجار المرزبان» ليكون

خلفًا لأبيه «عضد الدولة»، ولقبوه «صمصام الدولة» وأقر الخليفة «الطائع لله» هذا الاختيار وخلع على «صمصام الدولة» سبع خلع، ولقبه «شمس الملة»، فلم يكن للخليفة دور سوى إقرار ما يتفق عليه القادة والأمراء.

وقد واجه «صمصام الدولة» انشقاقًا من أخيه «شرف الدولة» الذى استطاع الاستقلال ببلاد «فارس» والاستيلاء على «البصرة»، وتعيين أخيه «أبى الحسين أحمد» نائبًا عنه فى حكمها، كما تمكن من هزيمة الجيش الذى أرسله إليه «صمصام الدولة» ليسترد منه بلاد «فارس».

وقد استطاع «صمصام الدولة» استمالة عمه «فخرالدولة» إلى صفه فى هذا الصراع، ولكن جنده فى «بغداد» ثاروا عليه وأعلنوا بيعتهم لشرف الدولة، ورغم أن «صمصام الدولة» قضى على هذه الثورة فإنه لم يستطع وضع حد لازدياد قوة أخيه «شرف الدولة».

ففى سنة ٣٧٥هـ = ٩٨٥م استولى «شرف الدولة» على «الأهواز» وقبض على أخيه «أبى طاهر فيروز شاه» المناصر لصمصام الدولة، وفى رمضان سنة ٣٧٦هـ = يناير ٩٨٧م استولى على «العراق»



ودخل «بغداد» وقبض على أخيه «صمصام الدولة»، فذهب إليه الخليفة وهنأه بالسلطنة.

لم يستمر «شرف الدولة» طويلًا فى إمارته على «العراق»، فقد تُوفِّي فى غرة جمادى الأولى سنة ٣٧٩هـ = أغسطس ٩٨٩م، ولم يجد حرجًا وهو فى مرض موته أن يأمر بِسَمْل عيني أخيه «صمصام الدولة» وهو فى سجنه.

وخلف «شرف الدولة» أخوه «أبو نصر فيروز»، الذى لقبه الخليفة «بهاء الدولة» وضم إليه «بغداد» ولكن العلاقة بين «بهاء الدولة» وأبى نصر فيروز وبين الخليفة «الطائع» وصلت بعد قليل إلى الحد الذى جعل «بهاء الدولة» يقوم بعزل الخليفة؛ فقد قُلت الأموال عند «بهاء الدولة»، وثار جنده عليه، فاقترح عليه أحد خواصه وهو «أبو الحسن بن المعلم»، أن يقبض على الخليفة «الطائع» ويستولى على أمواله، فدخل «بهاء الدولة» على الخليفة ومعه جمع كثير، وتقدم أحد رجاله كأنه يريد أن يقبل يد الخليفة، فجذبه فأنزله عن سريره والخليفة يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، ويستغيث دون أن يلتفت إليه أحد، وتم الاستيلاء على أمواله، وحُمِل الخليفة إلى دار «بهاء الدولة»؛ حيث أُرغم على خلع نفسه فى التاسع عشر من شعبان سنة ٣٨١هـ = أكتوبر ٩٩١م بعد

أن استمر فى الخلافة ما يقرب من ثمانية عشر عامًا، كان خلالها مسلوب الإرادة.

ثالثًا: خلافة القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢هـ = ٩٩١ - ١٠٣١م):

هو «أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر»، اختاره «بهاء الدولة» بعد خلع «الطائع لله» لتولّي الخلافة، وكان غائبًا عن «بغداد»، فلما وصله الخبر حضر إليها وبايعه «بهاء الدولة» والناس فى رمضان سنة ٣٨١هـ = نوفمبر ٩٩١م، وعمره خمسة وأربعون عامًا.

وقد دامت خلافة «القادر بالله» إحدى وأربعين سنة وحفلت بالكثير من الأحداث والتطورات، وأهمها:

أ - ازدياد التفكك فى البيت البويهى:

فقد نشب الصراع بين «بهاء الدولة»، وأخيه «صمصام الدولة» ولم يكن فى «بنى بويه» أظلم من «بهاء الدولة» ولا أقبح سيرة منه، ففى سنة ٣٨٣هـ = ٩٩٣م قام بمحاولة للاستيلاء على المنطقة الخاضعة لإمارة أخيه «صمصام الدولة» فى بلاد «فارس» و«أرجان»، فانتهت هذه المحاولة بعكس ما كان يهدف إليه؛ حيث تمكن «صمصام الدولة» من الاستيلاء على «خوزستان» الخاضعة لبهاء الدولة، وبدد شمل الجيش الذى أرسله «بهاء الدولة».

وفى سنة ٣٨٤هـ = ٩٩٤م استطاع «بهاء الدولة» أن يهزم «صمصام الدولة»، وأن يسترد منه بعض ما خسره قبل ذلك.

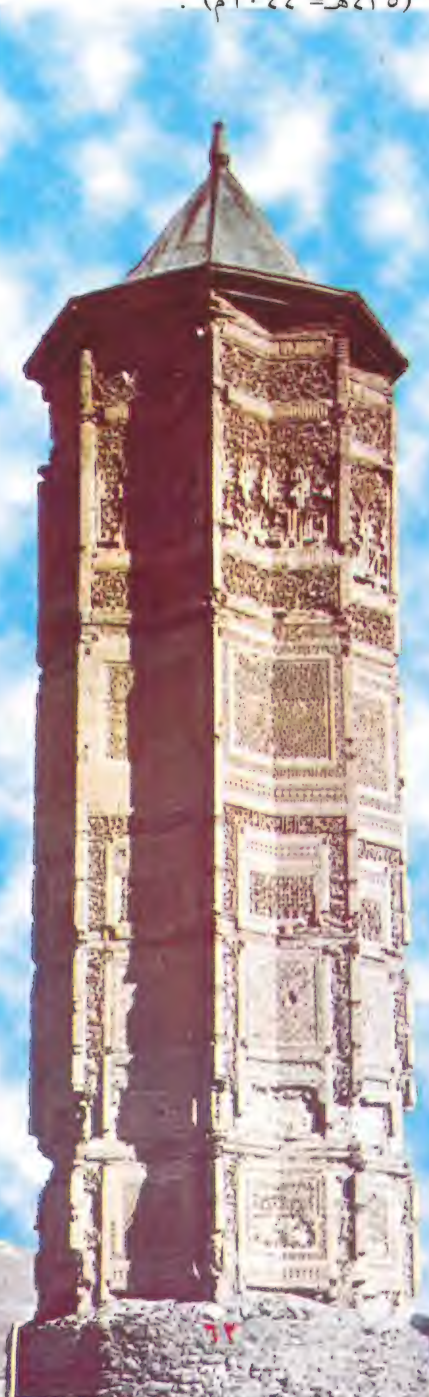
وقد تجدد الصراع بينهما مرات عديدة، ووصل فى إحدى مراحلها إلى استيلاء «صمصام الدولة» على «البصرة» فى «العراق» سنة ٣٨٦هـ = ٩٩٦م، ولم يتوقف هذا الصراع بين «بهاء الدولة» و«صمصام الدولة» إلا بمقتل «صمصام الدولة» على يد بعض أبناء «عز الدولة» بختيار؛ انتقامًا لمقتل أبيهم «بختيار» على يد «عضد الدولة»، والد «صمصام الدولة»، وذلك فى ذى الحجة سنة ٣٨٨هـ = ٩٩٨م.

وعقب مقتل «صمصام الدولة» أراد بعض أبناء «بختيار» الاستيلاء على «فارس»، فنشب الصراع بينهم وبين «بهاء الدولة» وانتهى بهروبهم ومقتل أحدهم واسمه «أبو نصر» على يد أنصار «بهاء الدولة» سنة ٣٩٠هـ = ١٠٠٠م.

وقد تُوفِّي «بهاء الدولة» (أبو نصر فيروز بن عضد الدولة) فى جمادى الآخرة سنة ٤٠٣هـ = ديسمبر ١٠١٢م)، فخلفه على إمارة «العراق» ابنه «أبو شجاع فخر الملك»، الذى لقبه الخليفة «القادر بالله» «سلطان الدولة»، فولى أخاه «جلال الدولة» «أبا طاهر» إمارة «البصرة» وأخاه «قوام الدولة أبا الفوارس» «كرمان».

ونشب صراع مرير بين أبناء «بهاء الدولة»: «سلطان الدولة» و«جلال الدولة»، و«قوام الدولة»، و«مشرف الدولة» الذي استطاع الاستيلاء على «العراق» سنة (٤١١هـ = ١٠٢٠م) وبعد وفاة «سلطان الدولة» في شوال سنة (٤١٥هـ = ديسمبر ١٠٢٤م) خلفه ابنه «أبو كاليجار» على إمارة «فارس» و«كرمان»، ودخل في صراع مع عمه «أبي الفوارس بن بهاء الدولة» الذي استطاع الاستيلاء على «كرمان»، وأرغم «أبا كاليجار» على دفع خراج له قيمته عشرون ألف دينار، إلا أن «أبا كاليجار» استرد «كرمان» بدون قتال عقب وفاة عمه «أبي الفوارس» سنة (٤١٩هـ = ١٠٢٨م).

وعقب وفاة «مشرف الدولة» تولى أخوه «أبو طاهر جلال الدولة» - أمير «البصرة» - إمارة «العراق» لكنه لم يتمكن من دخول «بغداد»؛ حيث منعه أنصار ابن أخيه «أبي كاليجار» من دخولها، تمهيداً لقدم «أبي كاليجار» وسيطرته على «العراق»، ولكن ذلك لم يحدث لانشغاله بصراعه مع عمه «أبي الفوارس»، وبقيت «بغداد» بدون أمير بويهى لمدة عامين وبضعة أشهر، مما دعا رؤساء الجند إلى أن يطلبوا من الخليفة «القادر بالله» أن يرسل إلى «جلال الدولة» ليحضر إلى «بغداد» ويتسلم الإمارة



وقد أدى الصراع المستمر بين أبناء البيت البويهى إلى تطلع قوى أخرى من خارج البيت البويهى للاستيلاء على مقاليد الحكم في دولة الخلافة العباسية، كما شغل هذا الصراع البويهيين عن توجيه أذاهم إلى الخليفة العباسي «القادر بالله»، الذي ظل واحداً وأربعين عاماً على كرسى الخلافة حتى توفي سنة (٤٢٢هـ = ١٠٣١م).

ب - اتساع قوة الدولة الغزنوية: تُنسب «الدولة الغزنوية» إلى مدينة «غزنة»^(١٠) بأفغانستان الحالية، ويقال إن اسمها الصحيح «غزّين» ثم تحول عند العامة إلى «غزنة»، واشتهرت به.

وتمتد جذور الأسرة الغزنوية إلى مرحلة سابقة لخلافة «القادر بالله». فقد ارتبطت بداية ظهور الغزنويين بظهور «ألبتكين» (ويكتب أحياناً: ألب تكين أو ألفتكين)، وهو غلام تركي التحق بخدمة السامانيين، وتدرج في المناصب حتى وصل إلى منصب «حاجب الحجاب»، وهو منصب كان يتيح سلطة خطيرة لصاحبه، ثم تقلد «ألبتكين» ولاية «خراسان» نيابة عن الأمير الساماني «عبد الملك بن نوح» سنة (٣٤٩هـ = ٩٦٠م) حتى عزله عنها الأمير «منصور بن نوح» الذي خلف أخاه «عبد الملك» فليجأ «ألبتكين» إلى «بلخ»، واستطاع هزيمة جيش

بلاد الصين



«منصور» الذي أرسله إليه سنة (٣٥١هـ = ٩٦٢م)، ثم توجه إلى «غزنة» في السنة نفسها، واستولى عليها واتخذها مقراً له في خلافة «المطيع لله».

وبعد وفاة «ألبتكين» خلفه ابنه «أبو إسحاق إبراهيم»، الذي تعاون مع الأمير «منصور بن نوح» ضد أمير «غزنة» السابق «أبي علي»، الذي أطاح به «ألبتكين» سنة (٣٥١هـ = ٩٦٢م)، فسانده الأمير «منصور» على شرط أن يعد نفسه تابعاً للدولة السامانية، فوافق «أبو إسحاق» على ذلك.

وبعد وفاة «أبي إسحاق إبراهيم» سنة (٣٥٥هـ = ٩٦٦م) دون أن يُعقب تولى إمارة «غزنة» «بلكاتكين»، ثم «بيرى تكين» على التوالي وهما من غلمان «ألبتكين»

، ثم أصبح «سبكتكين» أميراً على «غزنة» في شعبان سنة (٣٦٦هـ = مارس ٩٧٧م) فكان ذلك نقطة تحول في تاريخ الغزنويين.

و«سبكتكين» غلام تركي من غلمان «ألبتكين»، كان قد قرّبه إليه وزوجه ابنته، وعينه قائداً لحرسه، فلما تولى «غزنة» وسع حدودها في اتجاه بلاد «الهند»، وحقق انتصارات كبيرة في تلك البلاد، وأصبح بذلك المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية.

وقد استعان الأمير «نوح بن منصور الساماني» (٣٦٦ -

٣٨٧هـ = ٩٧٧ - ٩٩٧م) بسبكتكين سنة (٣٨٤هـ = ٩٩٤م) للقضاء على حركة تمرد وعصيان ضده في «بخارى»، وخلع عليه لقب «ناصر الدولة»، وعين ابنه

«محموداً» قائداً لجيش «خراسان» ومنحه لقب «سيف الدولة».

واختار «سبكتكين» مدينة «بلخ» مقراً له، في أواخر أيامه وقد توفي في شعبان سنة (٣٨٧هـ = أغسطس ٩٩٧م)، وعقب وفاته تنازع ابنه «محمود» و«إسماعيل» حول أحقيتهما في وراثة الحكم^(١١)، وانتهى هذا النزاع بانتصار «محمود» الذي أصبح رئيساً للدولة الغزنوية سنة (٣٨٧هـ = ٩٩٧م)، وأحسن معاملة أخيه «إسماعيل» وأعلى منزلته.

وقد حققت إمارة «محمود بن سبكتكين» قفزة هائلة في مسار «الدولة الغزنوية»، فترامت أطرافها، واتسع نفوذها، وذاع صيتها، وأصبحت بلا منافس من حيث هيبتها العسكرية ومكانتها

وأن يجعلهم جزءاً من نسيج دولته، وأن يستخدمهم في جهازه الإداري وأن يجندهم في جيشه، كما كان السلطان «محمود» يتحلى بأخلاق رفيعة، ويكثر الإحسان إلى الرعية والرفق بهم، ويحب العلماء ويكرمهم ويعظمهم وكان على مذهب «أبي حنيفة» في الفقه، وهو المذهب الذي مازال واسع الانتشار في «شبه القارة الهندية» و«أفغانستان» و«أواسط آسيا»، وكان السلطان «محمود» شغوفاً بعلم الحديث النبوي، فكان الشيوخ يقرءونه بين يديه وهو يسمع.

وقد قصده العلماء والشعراء من



الدولة السلطان محمود»، و«الريحان البيروني» (محمد بن أحمد) صاحب المعرفة الموسوعية في الرياضيات والفلك والطب والتاريخ والجغرافيا، ومن أشهر كتبه «الآثار الباقية عن القرون تتألف من ستين ألف بيت، وقد أهداها «الفردوسي» إلى السلطان «محمود» الذي كافأه عليها بستين ألف درهم، لكن «الفردوسي» رأى أن هذه المكافأة أقل مما كان يتوقع، فترك بلاط السلطان معترضاً!!

الخالية»، والشاعر الفارسي المعروف «الفردوسي» (أبو القاسم حسن) صاحب «الشاهنامه» أو «كتاب الملوك» وهو ملحمة شعرية

كل مكان، وكان أبرزهم المؤرخ العربي «العتبي» (أبو النصر محمد ابن عبد الجبار) صاحب كتاب «اليميني» الذي جمع فيه سيرة «يمين



* وفاة الخليفة القادر بالله، ونبذة عن شخصيته:

تُوفِّي «القادر بالله» في شهر ذي الحجة سنة (٤٢٢هـ = نوفمبر ١٠٣١م) وعمره سبع وثمانون سنة، ودامت خلافته واحداً وأربعين عاماً، فكانت أطول مدة يقضيها خليفة عباسي في هذا المنصب حتى عصره.

كان الخليفة «القادر بالله» يتحلى

وكان «يمين الدولة السلطان محمود» حريصاً على تقديم كل فروض الولاء لخليفة المسلمين، باعتبار منصب الخلافة رمزاً يجب صيانته والمحافظة على مكانته، فالخلافة قد ارتبطت منذ قيامها بعزة الإسلام ومجده، والتطاول على هذا المنصب العظيم يُعد استخفافاً بكل ما يرمز إليه من قيم ومعانٍ.

بصفات جعلته إحدى الشخصيات المتميزة في تاريخ «الخلافة العباسية»، فقد كان راجح العقل وافر الحلم، مؤثراً للخير، ظاهر الكرم، جميل الأخلاق، أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، كما كان شغوفاً بالعلم محباً لأهله، مستقيم الطريقة في الدين بعيداً عن البدعة، متواضعاً، عزوفاً عن مظاهر الأبهة والتكلف، فكان يخرج من داره في زي العامة، ويزور قبور الصالحين، وكان عادلاً وصولاً ظاهر البر باليتامى والمساكين، قوى الشخصية، يحظى بالاحترام والتبجيل؛ فلم يتعرض لما تعرض له غيره من السابقين له من مهانة خلال فترة اضمحلال الخلافة، ورغم ما تعرضت له الخلافة من ظروف وأحداث وتغلغل نفوذ الترك والفرس فإن «القادر بالله» استغل كل ما أتى له من إمكانيات، وقدم أفضل نموذج يمكن أن نتوقعه لخليفة عباسي في ضوء تلك الظروف.

شهد القرنان الرابع والخامس الهجريان قمة النشاط والازدهار الحضاري بمظاهره المختلفة في أرجاء العالم الإسلامي بصفة عامة وفي «دولة الخلافة العباسية» بصفة خاصة؛ ويمثل عصر «القادر بالله» زبدة الحضارة الإسلامية في هذين القرنين، وهكذا كانت الأوضاع الحضارية أحسن حالاً من الأوضاع السياسية خلال تلك الفترة.

رابعاً : خلافة القائم بأمر الله
ونهاية عصر النفوذ البويهى
(٤٢٢-٤٤٧هـ =
١٠٣١-١٠٥٥م) :

تولى «القائم بأمر الله» (أبو جعفر عبدالله بن القادر) الخلافة فى اليوم الذى توفى فيه أبوه «القادر بالله» فى ذى الحجة سنة ٤٢٢هـ = ١٠٣١م) ، وعمره ثلاثون عاماً ، وقد لقبه أبوه - قبل وفاته - بالقائم بأمر الله .

وقد زادت الأوضاع الداخلية فى «دولة البويهيين» فى عهده تدهوراً وانحطاطاً ، وأصبحت الدولة جسماً بلا روح ، فقد استمرت أمور «العراق» فى فوضى واضطراب ؛ بسبب الصراع بين «جلال الدولة» و«أبى كاليجار» على السيطرة عليه ، وضعفت مكانة «جلال الدولة» ، ورغم الصلح الذى تم بين «جلال الدولة» و«أبى كاليجار» سنة ٤٢٨هـ = ١٠٣٧م) ، وتأكيده بزواج «أبى منصور بن أبى كاليجار» من ابنة «جلال الدولة» فإن «أبا كاليجار» انتهز فرصة وفاة «جلال الدولة» سنة ٤٣٥هـ = ١٠٤٤م) واستولى على زمام السلطة فى «العراق» فى صفر سنة ٤٣٦هـ = أغسطس ١٠٤٤م) ، بعد إحباطه محاولة الابن الأكبر لجلال الدولة للاستيلاء على الحكم فى «بغداد» .

وأثناء إمارة «أبى كاليجار» فى «بغداد» استطاع الأتراك السلاجقة أن يسيطروا على أجزاء كبيرة من البلاد الخاضعة للبويهيين ، واضطر «أبو كاليجار» إلى طلب الصلح مع السلطان السلجوقى «طغرل بك» وزوجه ابنته ، كما تزوج «أبو منصور بن أبى كاليجار» من ابنة الملك «داود» أخى «طغرل بك» ، وأصبحت «الدولة البويهية» معرضة للسقوط فى أية لحظة . وعقب وفاة «أبى كاليجار» فى



* السلاجقة :

«السلاجقة» أسرة تركية كبيرة ، كانت تقيم فى بلاد «ما وراء النهر» ، وتنسب إلى زعيمها «سلجوق بن ثقاق» ، الذى اشتهر بكفاءته الحربية ، وكثرة أتباعه . وقد أسلم «سلجوق» وأتباعه ، وخلف من الأولاد «أرسلان» و«ميكائيل» و«موسى» ، وكان أبرزهم «ميكائيل» ، الذى أنجب «طغرل بك» (محمد) و«جغرى بك» (داود) ، اللذين قام عليهما مجد «السلاجقة» .



هاجر السلاجقة بزعامة «طغرل بك» وأخيه «جغرى» فى الربع الأول من القرن الخامس الهجرى إلى «خراسان» الخاضعة لنفوذ الغزنويين ، وبعد سلسلة من الصراخ بين الغزنويين و«السلاجقة» ، استطاع «السلاجقة» السيطرة على «خراسان» بعد هزيمة الغزنويين بقيادة السلطان «مسعود ابن محمود بن سبكتكين» سنة ٤٣١هـ = ١٠٤٠م) أمام «طغرل بك» وأخيه «جغرى» .

وقد ساعد «السلاجقة» على توطيد سلطانهم انتماءهم إلى المذهب السنى ، وإعلانهم الولاء والتبعية للخليفة العباسى «القائم بأمر الله» ، الذى عين «طغرل بك» نائباً عنه فى «خراسان» وبلاد «ما وراء النهر» وفى كل ما يتم فتحه من البلاد .

وقد استطاع «السلاجقة» توسيع حدود مملكتهم بسرعة هائلة ، فاستولى زعيمهم «طغرل بك» على «جرجان» و«طبرستان» سنة ٤٣٣هـ) ، وعلى «خوارزم» و«الرى» و«همدان» سنة ٤٣٤هـ = ١٠٤٣م) وعلى «أصبهان» سنة ٤٤٣هـ = ١٠٥١م) ، وعلى «أذربيجان» سنة ٤٤٦هـ = ١٠٥٤م) ، وبدأ يتطلع للسيطرة على «بغداد» ، وقد هيات له الأوضاع السائدة فى «العراق» تحقيق هذا الهدف .

- دخول طغرل بك بغداد سنة (٤٤٧هـ = ١٠٥٥م) وسقوط دولة البويهيين :

كان القائد التركى المشهور «أبو الحارث أرسلان المظفر بن عبدالله» المعروف بالبساسيرى ، من أكابر العسكريين الأتراك فى «بغداد» فى أواخر العهد البويهى ، وكان يقوم بدور الحاكم العسكرى لمدينة «بغداد» ، ويعد صاحب النفوذ الأكبر فى دار الخلافة ، وقد كانت هناك خصومة شديدة بينه وبين «أبى القاسم بن المسلمة» (على بن الحسن ابن أحمد) وزير الخليفة «القائم بأمر الله» ، فاتهمه الوزير بالخيانة ، واتصاله بالفاطميين فى «مصر» لميله الشيعية ، ولما تبين ذلك للخليفة «القائم بأمر الله» خشى أثر موقف «البساسيرى» على مستقبل «الخلافة العباسية» ، فاتصل بالسلطان السلجوقى «طغرل بك» ، وطلب منه القدوم إلى «بغداد» للاستيلاء على السلطة فيها ووضع حد لمحاولات «البساسيرى» الخطيرة ولعجز البويهيين عن إدارة شئون الدولة فاستجاب السلطان السلجوقى وتقدم بجنوده نحو «بغداد» ، وأمر الخليفة بأن يُخطب له على منابرها ، قبل دخولها فى ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧هـ = نوفمبر ١٠٥٥م) بثلاثة أيام ، وتم القبض على «الملك الرحيم» آخر ملوك البويهيين .

ثالثاً : عصر نفوذ السلاجقة

[٤٤٧-٥٩٠هـ = ١٠٥٥-١١٩٤م]

أصبح «طغرل بك» (ركن الدين أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق) أول سلاطين «السلاجقة» في «بغداد»، ابتداءً من (رمضان ٤٤٧هـ = نوفمبر ١٠٥٥م)، وقد استقبله الخليفة «القائم بأمر الله» بكل مظاهر الحفاوة والترحاب، ولقبه «ملك المشرق والمغرب».



الخلافة في ظل السلاجقة

رأى «السلاجقة» في الخلافة السنية رمزاً دينياً يعبر عن وحدة الأمة الإسلامية وعزتها، ونظروا إلى الخليفة على أنه تجسيد حي لهذا الرمز، فأحاطوه بهالة من التقدير والإكبار، ونعمت «الخلافة العباسية» في ظل نفوذ «السلاجقة» بأمرين:

الأول: سيادة المذهب السني في أرض الخلافة.

والآخر: إحاطة الخلافة بما هي أهل له من إكرام وإجلال؛ فأصبح من حق الخليفة اتخاذ وزير له، ورغم أن وزير السلطان السلجوقي كان بصفة عامة أوسع نفوذاً وأقوى تأثيراً من وزير الخليفة، فإن ذلك لا يقلل من حقيقة التكريم الذي أسبغه «السلاجقة» على منصب الخلافة؛ حيث كانت السلطة الفعلية في يد «السلاجقة»، وكانت سلطة الخليفة روحية أكثر منها سياسية.

* فتنة البساسيري ومحاولة إخضاع العراق للنفوذ الفاطمي:

وقد أمد «المستنصر الفاطمي» «البساسيري» بما يدعم موقفه ويمكنه من مد نفوذه، فاستطاع في (الثامن من ذي القعدة سنة ٤٥٠هـ = السابع والعشرين من ديسمبر ١٠٥٨م) أن يدخل «بغداد» بجيوشه، ويخطب فيها للخليفة الفاطمي، وخضعت «بغداد» للخلافة الفاطمية بمصر، واضطر الخليفة العباسي «القائم بأمر الله» ووزيره «ابن المسلمة» أن يضعا نفسيهما تحت حماية أحد أعوان «البساسيري»، واسمه «قريش بن بدران»، فطلب «البساسيري» من «قريش» تسليمه «ابن المسلمة»،

انشغاله عنه بفتنة أخيه.

فقتله شر قتلة في أواخر ذي الحجة سنة (٤٥٠هـ = يناير ١٠٥٩م)، وقام «قريش» بتسليم الخليفة العباسي إلى ابن عم له بنوحي «الأنبار»^(١٢)، فأواه وقام بجميع ما يحتاج إليه مدة سنة كاملة.

وحاول «البساسيري» مد سلطانه على مدن «العراق» ما أمكنه ذلك، فاستولى على «البصرة»، وأوشك الأمر أن يستتب للفاطميين بالعراق لولا أن «المستنصر» شك في نيات

«البساسيري» وحقيقة مخططاته، فمنع عنه عونه وتأييده؛ مما كان له أثره السيئ على موقفه في مواجهة «طغرل بك»، الذي نجح في القضاء على ثورة أخيه «إبراهيم يتال»، وقبض عليه وقتله في التاسع من جمادى الآخرة سنة ٤٥١هـ = يوليو ١٠٥٩م).

وعندما اقتربت جيوش السلطان السلجوقي «طغرل بك» من «بغداد» هرب «البساسيري» في اتجاه

«الكوفة» في السادس من ذي القعدة سنة (٤٥١هـ = ١٤ من ديسمبر ١٠٥٩م)، وسيطر «طغرل بك» على «بغداد» بسهولة، بعد عام كامل من سيطرة «البساسيري» عليها، وأعاد الخليفة «القائم بأمر الله» مكرماً إلى دار الخلافة في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة (٤٥١هـ = ديسمبر ١٠٥٩م) ونجح فرسان «طغرل بك» في قتل «البساسيري» في ٨ من ذي الحجة سنة ٤٥١هـ = ١٥ يناير ١٠٦٠م)، وبذلك بدأ السلطان السلجوقي «طغرل بك» يعمل على توطيد ملك «السلاجقة» بالعراق.

* بين طغرل بك والخليفة القائم بأمر الله:

كان «طغرل بك» حريصاً على إبداء كل مظاهر الإجلال والتوقير للخليفة، وقد اقتدى به خلفاؤه؛ فعاملوا الخلفاء العباسيين بكل ما يليق بمكانتهم من احترام وتعظيم.



يروى المؤرخون أن «طغرل بك» كان غائباً عن «بغداد»، فلما عاد إليها سنة (٤٤٩هـ = ١٠٥٧م) توجه إلى دار الخلافة، فلما دخل على الخليفة قَبْلَ الأرض وجلس على سرير دون سرير الخليفة، فأمره الخليفة أن يتقى الله فيما ولاه وأن يجتهد في عمارة البلاد وإصلاح العباد ونشر العدل ومنع الظلم، فقام «طغرل بك» وقَبْلَ الأرض وقال: «أنا خادم أمير المؤمنين وعبيده، ومتصرف على أمره ونهيه، ومتشرف بما أهدى له واستخدمني فيه، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق».

وعندما توجه «طغرل بك» لاستخلاص «العراق» من «الساسيرى» كان شديد الحرص على سلامة الخليفة.

وقد أراد «طغرل بك» أن يمنح نفسه وأسرته شرفاً فريداً متميزاً، وأن يضفى على سلطانه السياسى صبغة روحية

فخطب ابنة الخليفة «القائم بالله» سنة (٤٥٣هـ = ١٠٦١م)، فانزعج الخليفة لذلك رغم زواجه من «أرسلان خاتون» (واسمها خديجة) ابنة الأمير «داود» أخى السلطان «طغرل بك» سنة (٤٤٨هـ = ١٠٥٦م)، فلم يحدث أن تزوج أحد من خارج البيت العباسى منه، وحاول الخليفة «القائم» رفض هذا الزواج، ودافع بكل ما يمكنه فى سبيل ذلك، ولكنه اضطر إلى الخضوع لضغوط وزير «طغرل بك» «عميد الملك الكندرى»؛ فتم العقد لطغرل على ابنة الخليفة سنة (٤٥٤هـ = ١٠٦٢م) ودخل بها سنة (٤٥٥هـ = ١٠٦٣م).



* الوزير عميد الملك الكندرى (١٣) ومكانته فى دولة طغرل بك :

أثناء حكم «طغرل بك» فى «نيسابور» طلب رجلاً متمكناً من اللغة العربية يكتب له، فدلوه على «عميد الملك الكندرى» (أبى نصر محمد بن منصور بن محمد) فلما دخل «طغرل» «بغداد» سنة (٤٤٧هـ = ١٠٥٥م) عينه وزيراً له، فكان ساعده الأيمن حتى وفاة «طغرل» سنة (٤٥٥هـ = ١٠٦٣م).

ويعتبر «عميد الملك» أحد العوامل المهمة فى ازدهار دولة «طغرل بك» بفضل ما كان يتمتع به من حنكة وكفاءة، كما كان سبباً مكن «طغرل بك» من السيطرة على «العراق» ودار الخلافة، وإدخال الخليفة «القائم» ووزرائه وحاشيته فى طاعة «السلاجقة» دون إراقة دماء، لما تمتع به «عميد الملك» من نفاذ بصيرته فى الأمور، وبعد نظره، وحسن سياسته، إلى جانب رسوخ قدمه فى العلم والأدب. واقترن اسم الوزير عميد الملك باسم «طغرل بك» وأصبح لا يذكر أحدهما دون أن يذكر الآخر.

- وفاة طغرل بك وتولى ألب أرسلان :

كان «طغرل بك» من كبار الشخصيات فى التاريخ، اتصف بالشجاعة والإقدام، والعقل

والحلم، وكان من أشد الناس احتمالاً وأكثرهم كتماناً لصره، كريماً، محافظاً على الصلوات الخمس، ويصوم يومى الاثنين والخميس.

ورغم أن بعض المؤرخين وصفه بالظلم والقسوة، فإن ذلك لا يتفق مع صفاته السابقة التى سجلها له معظم المؤرخين.

وقد أوصى «طغرل بك» بأن يخلفه بعد موته ابن أخيه «سليمان ابن داود جغرى»؛ حيث إنه لم يخلف ولداً، وفى الثامن من رمضان سنة (٤٥٥هـ = سبتمبر ١٠٦٣م) توفى «طغرل بك» بمدينة «الرى» ببلاد «الجليل»، وعمره نحو سبعين عاماً، وقد نفذ «عميد الملك الكندرى» وصية «طغرل بك»، ولكن الناس كانوا أميل إلى «ألب أرسلان»، فأمر «عميد الملك» بالخطبة له وتم الأمر له بمساعدة وزيره «نظام الملك»، وأصبح سلطان «السلاجقة».

* قتل عميد الملك الكندرى ووزارة نظام الملك :

عقب تولى «ألب أرسلان» سلطنة «السلاجقة»، أقر «عميد الملك الكندرى» وزير عمه «طغرل» فى منصبه، ولكنه سرعان ما تغير عليه فعزله فى شهر المحرم سنة (٤٥٦هـ = ديسمبر ١٠٦٣م)،

وسجنه، ثم دبر قتله فى شهر ذى الحجة سنة (٤٥٦هـ = نوفمبر ١٠٦٤م)، ويبدو أن «نظام الملك» لعب دوراً فى ذلك.

وبعد عزل «عميد الملك»، عين «ألب أرسلان» «نظام الملك» وزيراً له، وكان وزيره أثناء إمارته على «خراسان» قبل توليه السلطنة، ويُعد «نظام الملك» أشهر وزراء «السلاجقة» كما يعد من أشهر الوزراء فى التاريخ الإسلامى.

وكانت بداية معرفة «نظام الملك» بالسلاجقة حينما اتصل بـ «داود بن ميكائيل بن سلجوق»، والد السلطان «ألب أرسلان»، وأعجب بكفاءته وإخلاصه فسلمه إلى ابنه «ألب أرسلان» وقال له : «اتخذه والدًا ولا تخالفه فيما يشير به».

وقد ظل «نظام الملك» وزيراً للسلطان «ألب أرسلان» ثم لخليفته «ملكشاه» ما يقرب من ثلاثين عاماً.

ولم يكن «نظام الملك» مجرد وزير لامع، بل كان راعياً للعلم والأدب محباً لهمما، وقد سمع الحديث وقرأه، وكان مجلسه عامراً بالعلماء والفقهاء والصوفية، مثل إمام الحرمين «أبى المعالى الجوينى» و«أبى القاسم القشيرى»، كما اهتم «نظام الملك» ببناء المدارس ووضع أسس قيام نهضة تعليمية رائعة.

اتساع مملكة السلاجقة

خلال حكم ألب أرسلان

(٤٥٥ - ٤٦٥ هـ =

١٠٦٣ - ١٠٧٣ م):

استطاع «ألب أرسلان» أن يوسع حدود مملكة «السلاجقة» التي ورثها عن عمه «طغرل» ، وأن يسجل انتصارات رائعة ضد أعدائه في الداخل والخارج ، فنجح في القضاء على حركات العصيان في «خراسان» و«ما وراء النهر» و«أذربيجان» ، وتمكن من تعزيز الوجود الإسلامي في «أرمينيا» ، واستولى على «حلب» وقضى على النفوذ الفاطمي بها .

* معركة ملازكرد :

عزم الإمبراطور البيزنطي «رومانوس الرابع» على طرد «السلاجقة» من «أرمينيا» وضمها إلى النفوذ البيزنطي ، فأعد جيشاً كبيراً سنة (٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م) يتكون من مائتي ألف مقاتل ، وتولّى قيادته بنفسه ، وزحف به إلى «أرمينيا» ، وعندما علم السلطان «ألب أرسلان» بذلك وهو بأذربيجان لم يستطع أن يجمع من المقاتلين إلا خمسة عشر ألف فارس ، فتقدم بهم إلى لقاء الإمبراطور البيزنطي وجحافلهم ، والتقت مقدمة جيش السلطان

بمقدمة جيش «رومانوس» في «أرمينيا» فهزمتها .

وقد أراد السلطان «ألب أرسلان» استغلال هذا النصر المبدي فأرسل إلى الإمبراطور «رومانوس» يعرض عليه الصلح ، إدراكاً منه لخرج موقفه بسبب قلة جنده ، فرفض «رومانوس» الصلح وهدد السلطان بالهزيمة والاستيلاء على ملكه ، وقد ألهم هذا التهديد حماس السلطان وجيشه وعزموا على إحراز النصر أو الشهادة ، ووقف فقيهه السلطان وإمامه «أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري» يقول للسلطان:

«إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان ، وأرجو أن يكون الله - تعالى - قد كتب باسمك هذا الفتح ، فآلقهم يوم الجمعة بعد الزوال ، في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر ، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر ، والدعاء مقرون بالإجابة».

فلما جاءت هذه الساعة صلى بهم ، وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه ، ولبس البياض وتحنط وقال : إن قُتِلْتُ فهذا كفني !

والتقى جيش السلطان وجيش

الإمبراطور في مدينة «ملازكرد» بأرمينيا ، وحمل المسلمون على الروم حملة رجل واحد ، وأنزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وامتألت الأرض بجثثهم ، وتمكن المسلمون من أسر إمبراطور الروم «رومانوس» ، فأحسن السلطان «ألب أرسلان» معاملته ، وأعفاه من القتل مقابل فدية مقدارها مليون ونصف دينار ، وعقد معه صلحاً مدته خمسون عاماً ، وأطلق سراحه وأرسل معه جنداً أوصلوه إلى بلاده ومعهم راية مكتوب عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وقد أنهت معركة «ملازكرد» النفوذ البيزنطي في «أرمينيا» بصورة مطلقة ، وفتحت المجال لامتداد النفوذ الإسلامي السلجوقي إلى «آسيا الصغرى» ، وتهديده العاصمة البيزنطية وما وراءها في «أوربا» . وقد حدثت هذه المعركة المظفرة - معركة «ملازكرد» - في شهر ذي القعدة سنة ٤٦٣ هـ = أغسطس (١٠٧١ م).

ولا يستطيع الباحثون عن جذور الحروب الصليبية التي حدثت فيما بعد أن يتجاهلوا دور هذه المعركة (ملازكرد) في تهيئة الظروف التي أدت إلى هذه الحروب .



* مقتل ألب أرسلان وانتقال السلطة إلى ابنه ملكشاه :

في أوائل عام (٤٦٥هـ = ١٠٧٣م) توجه «ألب أرسلان» إلى بلاد «مما وراء النهر» لتأديب أمير «بخارى» الثائر «شمس الملك نصر»، وبينما هو في طريقه جاءوا إليه بأمير إحدى القلاع ، واسمه «يوسف الخوارزمي» مقيداً بسبب عصيانه ، وأغلظ «يوسف» القول للسلطان ، فطلب «ألب أرسلان» فك قيوده ليقتله بنفسه ، ولكن «يوسف» كان أسرع من السلطان فطعنه بخنجر كان معه ، فمات السلطان «ألب أرسلان» بعد أيام متأثراً بجراحه في (العاشر من ربيع الأول سنة ٤٦٥هـ = أواخر نوفمبر سنة ١٠٧٣م) ، وعمره أربعون أو خمس وأربعون سنة .

وقد كان «ألب أرسلان» - بإجماع المؤرخين - من عظماء سلاطين «السلجقة» ، وكان قائداً عسكرياً من الطراز الأول ، وسياسياً محنكاً وحاكماً عادلاً ، فلم يتجاوز في جمع الأموال من الرعية ، وكان كثير الصدقات خاصة في رمضان ، باراً بأهله وأصحابه وماليكه ، شهماً ذا مروءة ، ولم يكن يسمح للدسائس أن تعرف طريقها إليه ، فقد حاول أحد الوشاة مرة أن يفسد ما بينه وعقب وفاة «ألب أرسلان» تولى السلطنة ابنه «ملكشاه» بعهد من أبيه ، وتولى «نظام الملك» أخذ البيعة له ، وأقره الخليفة «القائم بأمر الله» على السلطنة .



- استمرار نظام الملك في الوزارة واتساع نفوذه في عهد ملكشاه :

لم يكتف «ملكشاه» بإقرار «نظام الملك» في الوزارة كما كان في عهد أبيه ، بل زاد على ذلك بأن فوض إليه تدبير المملكة ، وقال له : «قد رددت الأمور كلها كبيرها وصغيرها إليك ، فأنت الوالد» . ولقبه ألقاباً كثيرة ، أشهرها لقب «أتابك» ، ومعناه الأمير الوالد ، وكان «نظام الملك» أول من أطلق عليه هذا اللقب .

وسبب هذه المكانة الرفيعة التي حظى بها «نظام الملك» عند السلطان «ملكشاه» ، أنه هو الذي مهد له الأمور ، وقمع المعارضين ، فراه السلطان أهلاً لهذه المكانة .

- وفاة الخليفة القائم بأمر الله ، وبيعة المقتدى بأمر الله :

توفي الخليفة «القائم بأمر الله» في الثالث عشر من شعبان سنة (٤٦٧هـ = ٣ من رمضان ١٠٧٥م) في أوائل سلطنة «ملكشاه» ، وعمره يزيد على ستة وسبعين عاماً ، وقد استمر في الخلافة نحو خمس وأربعين سنة .

وقد شهدت خلافة «القائم بأمر الله» تدهور «دولة البويهيين» واندثارها ، وقيام «دولة السلجقة» ثم ازدهارها .

وقد أجمع المؤرخون على أن «القائم بأمر الله» كان يتحلى بالأخلاق الحميدة ، فقد كان ورعاً

دينياً زاهداً عالماً ، قوى اليقين بالله تعالى ، كثير الصبر ، مؤثراً للعدل والإنصاف ، قاضياً لحوائج الناس .

وقد كان للقائم بأمر الله ابن وحيد ، توفي في حياته ، هو «أبو العباس محمد» الملقب بالذخيرة وقد ولد للذخيرة بعد وفاته بستة أشهر غلام ، اشتد به فرح جده «القائم» وسماه «عبدالله» .

وعندما توفي «القائم» كان «عبدالله» هذا في العشرين من عمره فتولى الخلافة بعد جده إليه في الثالث عشر من شعبان سنة (٤٦٧هـ = ٣ من رمضان ١٠٧٥م) ، ولقب بالمقتدى بأمر الله .



تمثال رأس أمير سلجوقي

الخلفاء العباسيون

في العهد السلجوقي

كان «المقتدى بأمر الله» ، أول خليفة يتقلد منصبه في ظل «دولة السلجقة» ، وبذلك يكون الخلفاء الذين تولوا الخلافة في العهد السلجوقي - بعد «القائم بأمر الله» - ثمانية هم :

١ - المقتدى بأمر الله (عبدالله ابن محمد بن القائم بأمر الله) [٤٦٧ - ٤٨٧هـ = ١٠٧٥ - ١٠٩٤م] .

٢ - المستظهر بالله (أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله) (٤٨٧ - ٥١٢هـ = ١٠٩٤ - ١١١٨م) .

٣ - المسترشد بالله (أبو منصور الفضل بن المستظهر) (٥١٢ - ٥٢٩هـ = ١١١٨ - ١١٣٥م) .

٤ - الراشد بالله (أبو جعفر المنصور بن المسترشد) (٥٢٩ - ٥٣٠هـ = ١١٣٥ - ١١٣٦م) .

٥ - المقتفى لأمر الله (أبو عبدالله بن محمد بن المستظهر بالله) (٥٣٢ - ٥٥٥هـ = ١١٣٨ - ١١٦٠م) .

٦ - المستنجد بالله (أبو المظفر يوسف بن المقتفى) (٥٥٥ - ٥٦٦هـ = ١١٦٠ - ١١٧٠م) .

٧ - المستضيء بأمر الله (أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله) [٥٦٦ - ٥٧٥هـ = ١١٧٠ - ١١٧٩م] .

٨ - الناصر لدين الله (أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله) (٥٧٥ - ٦٢٢هـ = ١١٧٩ - ١٢٢٥م) .

وقد شهدت خلافة «الناصر لدين الله» زوال ملك «السلجقة» في سنة (٥٩٠هـ = ١١٩٤م) وبداية استقلال الخلفاء العباسيين بالسلطة في «بغداد» وما يحيط بها .

* ذروة المجد السلجوقي :

بلغت «الدولة السلجوقية» ذروة مجدها وعظمتها على يد «ملكشاه» الذى استمر فى السلطنة عشرين عاماً تقريباً ؛ حيث استطاع أن يستثمر ما حققه «طغرل بك» و«ألب أرسلان» على أحسن وجه ، فحقق إنجازات عظيمة بمعاونة وزيره «نظام الملك» .

وقد تزامنت سلطنة «ملكشاه» -فى معظمها- مع خلافة «المقتدى بأمر الله» ، الذى تولى منصبه بعد ابتداء حكم «ملكشاه» بعامين ، وتوفى بعد وفاته بعامين .

وقد اتسعت حدود «الدولة السلجوقية» فى عهد «ملكشاه» اتساعاً غير مسبوق ، من حدود الصين إلى آخر «الشام» ، ومن أقاصى بلاد الإسلام فى الشمال إلى آخر بلاد «اليمن» ، وحمل إليه ملوك الروم الجزية .



وترجع عظمة «الدولة السلجوقية» فى عهد «ملكشاه» إلى اتساع حدودها وازدهار الحركة الثقافية فيها بصورة جديرة بالإعجاب .

وكان لنظام الملك أثر متميز وجهد خلاق فى ذلك ، على المستوى الإدارى والعسكرى ، والثقافى .

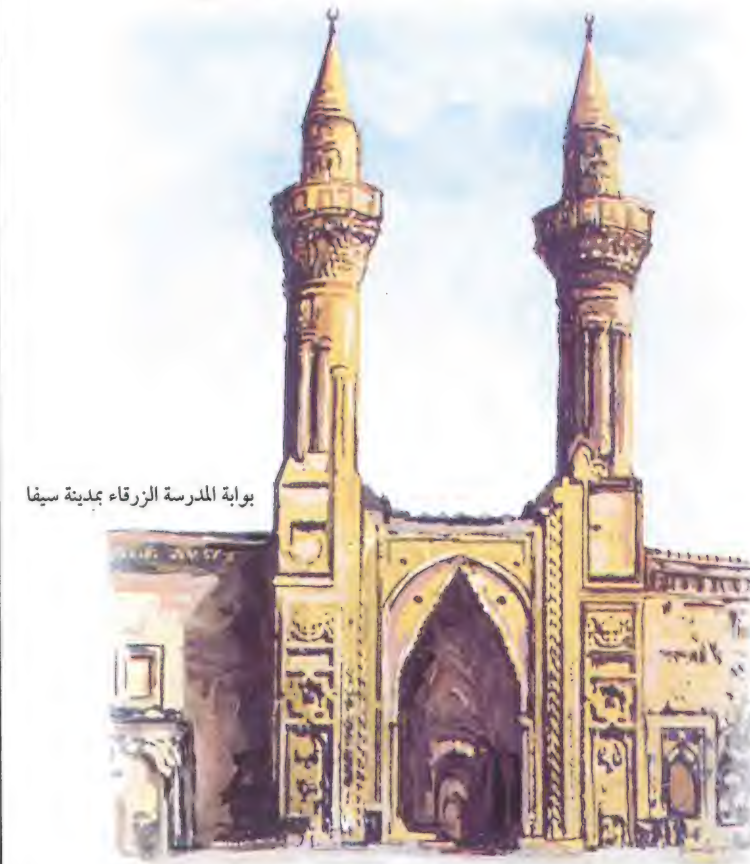
فاهتم بإنشاء العديد من المدارس التى نسبت إليه فى أنحاء الدولة ، فسميت بالمدارس النظامية ، وكان أشهرها : «نظامية بغداد» التى تخير

«نظام الملك» مشاهير الفكر والثقافة فى العالم الإسلامى للتدريس فيها مثل : «حجة الإسلام أبو حامد الغزالى» صاحب كتاب «إحياء علوم الدين» ، الذى فوض إليه «نظام

الملك» مهمة التدريس فى «المدرسة النظامية» ببغداد ، ثم فى «المدرسة النظامية» بنيسابور ، التى كان إمام الحرمين أبو المعالى الجوينى يقوم بالتدريس فيها .

وقد أسهمت هذه المدارس النظامية فى تثبيت قواعد المذهب السنى والدفاع عنه ضد مختلف البدع والأهواء والمذاهب المنحرفة التى انتشرت فى ذلك الوقت .

وقد كان «نظام الملك» مؤلفاً مرموقاً أيضاً ، فهو مؤلف كتاب «سياسة نامه» الذى تحدث فيه عن كيفية تدبير شئون الملك ، وفضح معتقدات الحشاشين وغيرهم من الخارجين على الدين .



بوابة المدرسة الزرقاء بمدينة سيفا

* مقتل نظام الملك ووفاته ملكشاه :

قتل «نظام الملك» فى العاشر من رمضان سنة (٤٨٥هـ = ١٤ من أكتوبر ١٠٩٢م) ، حين تقدم إليه أحد غلمان الباطنية (أو الحشاشين) وهو فى ركب السلطان فى صورة سائل أو مستغيث ، فلما اقترب منه أخرج سكيناً كان يخفيها فى طيات ملابسه فطعنه بها طعنات قاتلة .

وقد اختلف المؤرخون فى بيان السبب الذى أدى إلى مقتل «نظام الملك» ، فقيل إن نفوذ «نظام الملك» وأولاده وشيعته تفاقم بصورة مثلت خطراً على السلطان «ملكشاه» فدبر قتله ، وقيل إن السبب فى ذلك حربه الدائمة ضد المذاهب الهدامة وعلى رأسها مذهب الباطنية أو الحشاشين .

وعقب مقتل «نظام الملك» عين «ملكشاه» «تاج الملك أبا الغنائم الشيرازى» وزيراً ، وكان صاحب خزانة السلطان ومعروفاً بحقده على «نظام الملك» .

وقد توفى «ملكشاه» بعد وفاة «نظام الملك» بخمسة وثلاثين يوماً فى (١٥ من شوال سنة ٤٨٥هـ = ١٨ من نوفمبر ١٠٩٢م) ، فانطوت صفحة من أكثر صفحات التاريخ السلجوقي تأللاً وعظمة .

فقد كان السلطان «ملكشاه» أعظم سلاطين «السلاجقة»

وأحسنهم سيرة ، وأعدلهم حكماً ، منصوراً فى حروبه ، جواداً يحب الإنفاق فى وجوه الخير ، لا ييخل بمال على ما ينفع العلم والدين ، ومما يروى فى ذلك أن أحد كبار حاشيته - وهو «تاج الملك»- أراد أن يفسد العلاقة بينه وبين «نظام الملك» ، فذكر له أن الوزير ينفق فى كل سنة على أصحاب المدارس والفقهاء والعلماء ثلاثمائة ألف دينار ، ولو جهز بهذا المبلغ جيشاً لبلغ باب «القسطنطينة» ! فطلب السلطان «ملكشاه» حضور «نظام الملك» وسأله عن حقيقة الأمر فقال له :

قد أعطاك الله - تعالى - وأعطاني بك ما لم يعطه أحداً من خلقه ، أفلا نعوضه عن ذلك فى حَمَلَة دينه وحَفَظَة كتابه ثلاثمائة ألف دينار؟ ! ثم إنك تنفق على الجيوش المحاربة فى كل سنة أضعاف هذا المال مع أن أقوامهم وأرماهم لا تبلغ رميته ميلاً ، ولا يضرب بسيفه إلا ما قرب منه ، وأنا أجيش لك بهذا المال جيشاً تصل من الدعاء سهامه إلى العرش لا يحجبها شيء عن الله تعالى !!

فبكى السلطان وقال : «يا أبت استكثر من الجيش ، والأموال مبدولة لك ، والدنيا بين يديك» .

* تدهور أوضاع السلاجقة بعد وفاة ملكشاه :

بدأت مظاهر الضعف تنتشر في جسم «الدولة السلجوقية» عقب وفاة «ملكشاه» ، فظهر الانقسام والتمزق والفتن ، باستثناء فترة حكم السلطان «معز الدين سنجر أحمد» ؛ حيث شهدت الدولة قوة وصحة مؤقتة .

ويوجد عدد من النقاط الأساسية التي لا يمكن إغفالها عند تناول تاريخ الفترة التي شهدت تدهور أوضاع «السلاجقة» ، وهي :

أولاً : فروع السلاجقة

يتفرع «السلاجقة» إلى خمسة فروع رئيسية هي :

(أ) السلاجقة العظام :

وهم ستة : «طغرل بك» ، و«ألب أرسلان» ، و«ملكشاه» ، و«ركن الدين أبو المظفر بركيارق» (٤٨٥ - ٤٩٨ هـ = ١٠٩٢ - ١١٠٥ م) و«غياث الدين أبو شجاع محمد» (٤٩٨ - ٥١١ هـ = ١١٠٥ - ١١١٧ م) ، و«معز الدين سنجر أحمد» (٥١١ - ٥٥٢ هـ = ١١١٧ - ١١٥٧ م) .

ورغم أن مصطلح «السلاجقة العظام» يطلق على هؤلاء الستة ، إلا أن الجديرين حقاً بهذا الوصف هم الثلاثة الأول ، أما الآخرون فقد خاضوا كثيراً من الحروب ضد أبناء بيتهم وعانت الدولة في عهدهم من عوامل الفرقة والتمزق .

(ب) سلاجقة العراق :

ويطلق هذا المصطلح على أمراء «السلاجقة» الذين سيطروا على «العراق» و«الري» و«همدان» و«کردستان» ، وكان امتداد نفوذهم في هذه المناطق على حساب «السلاجقة العظام» ، واستمر نفوذهم من سنة (٥١١ هـ = ١١١٧ م) إلى سنة (٥٩٠ هـ = ١١٩٤ م) ، حين تمكن الخوارزميون من القضاء على «طغرل الثالث» آخر سلاطينهم .

(ج) سلاجقة كرمان :

وقد بدأ نفوذهم في الجنوب الشرقي لفارس وفي بعض مناطق الوسط سنة (٤٣٣ هـ = ١٠٤٢ م) ، قبل دخول «طغرل بك» «بغداد» ، واستمر حتى سنة (٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م) ، حين قضى التركمان الغز (١٤) على سلطتهم هناك .

(د) سلاجقة الشام :

وكان نفوذهم في المناطق التي استولى عليها «السلاجقة» من الفاطميين أو الروم في «الجزيرة» و«الشام» ، وقد بدأ نفوذهم في هذه المناطق سنة (٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م) وانتهى سنة (٥١١ هـ) على يد أتابكة «الشام» و«الجزيرة» .

(هـ) سلاجقة الروم :

وكان نفوذهم في الأراضى التي استطاع «السلاجقة» الاستيلاء عليها من الروم في «آسيا الصغرى» ، وكانت إمارتهم أطول إمارات

«السلاجقة» عمراً ؛ حيث بدأت سنة (٤٧٠ هـ = ١٠٧٧ م) واستمرت حتى سنة (٧٠٠ هـ = ١٣٠١ م) حين استطاع الأتراك العثمانيون القضاء عليها .

ثانياً : الحروب الصليبية والسلاجقة

كان اتساع نفوذ «السلاجقة» وتهديده للإمبراطورية البيزنطية و«أوروبا» ، خاصة بعد معركة «ملازكرد» ، سبباً في قيام الحروب الصليبية .

فقد عقد البابا «إربان الثاني» مجمع «كليرمونت» في (١٨ من نوفمبر سنة ١٠٩٥ م = ٢٨ ذي القعدة ٤٨٨ هـ) ، وألقى فيه خطاباً طالب فيه المسيحيين في «أوروبا» بالقيام بحرب دينية (صليبية) تهدف إلى مساعدة إخوانهم المسيحيين في الشرق ، وتخليص الأماكن المسيحية المقدسة من قبضة المسلمين ، وطردهم «السلاجقة» من «آسيا الصغرى» .

فقد اكتسح الصليبيون قوات «سلاجقة» الروم في «آسيا الصغرى» بقيادة الحاكم السلجوقي «قلج أرسلان» ، ثم تقدموا في اتجاه مدينة «الرهايين» : «الموصل» و«الشام» ، فاستولوا عليها وتوجهوا إلى «أنطاكية» فحاصروها حتى استسلمت وفر أميرها السلجوقي «باغى سيان» ، وساروا بعد ذلك إلى «معرة النعمان» التي



أئمة المسلمين وعلمائهم وعُبادهم وزهادهم ، الذين كانوا يتعبدون بجوار «بيت المقدس» .

وقد وقف «السلاجقة» عاجزين أمام طوفان الصليبيين ، فقد كانت أوضاع دولتهم تنتقل من سيئ إلى أسوأ ، وكانت الخلافة العباسية جسماً بلا روح ، ولم يكن وضع الفاطميين في «مصر» يتيح لهم مواجهة الصليبيين .

ينتسب إليها الشاعر المشهور «أبو العلاء المعري» ، فحاصروها حتى استسلم أهلها فقتلوا منهم ما يزيد على مائة ألف ، ثم جاء فتح الصليبيين الأكبر بالاستيلاء على «بيت المقدس» في (رمضان سنة ٤٩٢ هـ = يوليو ١٠٩٩ م) بعد محاصرته عدة أسابيع ، وارتكب فيه الصليبيون مذبةحةً تقشعر لها الأبدان ؛ حيث قتلوا ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من

فقد اكتسح الصليبيون قوات «سلاجقة» الروم في «آسيا الصغرى» بقيادة الحاكم السلجوقي «قلج أرسلان» ، ثم تقدموا في اتجاه مدينة «الرهايين» : «الموصل» و«الشام» ، فاستولوا عليها وتوجهوا إلى «أنطاكية» فحاصروها حتى استسلمت وفر أميرها السلجوقي «باغى سيان» ، وساروا بعد ذلك إلى «معرة النعمان» التي

وظل الأمر كذلك حتى ولى السلطان «محمود بن محمد بن ملكشاه» «عماد الدين زنكى» إمارة «الموصل» والبلاد التابعة لها ، فكان ذلك فاتحة خير للمسلمين؛ حيث استطاع «عماد الدين زنكى» مد نفوذه إلى «الجزيرة» و«الشام» ، فاستولى على «حلب» سنة (٥٢٢هـ = ١١٢٨م) ، وعلى «حماة» سنة (٥٢٣هـ = ١١٢٩م) ، ونذر نفسه للجهاد المقدس ضد الصليبيين ، وكان أعظم إنجاز حققه «زنكى» فى هذا المجال استرداده مدينة «الرها» من الصليبيين فى (جمادى الآخرة سنة ٥٣٩هـ = ديسمبر سنة ١١٤٤م) .

وقد أعد «عماد الدين زنكى» وبنى «أبناء» الثلاثة «نور الدين محمود» ، و«سيف الدين غازى» ، و«قطب الدين مودود» لمواصلة الجهاد المقدس ضد الصليبيين .

فاستطاع «نور الدين محمود» الذى خلف أباه على حكم «سوريا» سنة (٥٤١هـ = ١١٤٦م) أن يؤمن فتوحات والده فى «الرها» ، وأن ينزل هزيمة ساحقة بحاكم «الرها» الصليبي «جوسلين» ، وتمكن من أسره سنة (٥٤٦هـ = ١١٥١م) كما حقق فتوحات عظيمة فى إمارة «أنطاكية» وقتل أميرها «ريموند» فى (يوليو سنة ١١٤٩م = ٥٤٤هـ) .

ويرجع إلى «نور الدين محمود» الفضل فى استمرار حركة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين ووصولها

إلى ذروتها على يد السلطان «صلاح الدين الأيوبي» الذى تربى فى خدمة «نور الدين محمود» ، وتشرب على يديه حب الجهاد دفاعاً عن الإسلام ، واستطاع أن يفتح «مصر» فى حياة «نور الدين» لتنضم إلى «الشام» وتتم عملية تطويق الصليبيين .

وعقب وفاة «نور الدين محمود» فى شوال سنة (٥٦٩هـ = إبريل ١١٧٤م) أصبح «صلاح الدين الأيوبي» سلطان «مصر» و«الشام» ، واستطاع أن يحقق أروع انتصار فى تاريخ الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين فى معركة «حطين» سنة (٥٨٣هـ = ١١٨٧م)؛ حيث استرد المسلمون «بيت المقدس» .



ثالثاً : الباطنية والسلاجقة

«الباطنية» فرقة تجعل الباطن أساساً لفهم أمور الدين ولا تعتمد على الظاهر ، وتلجأ إلى تأويل النصوص وتضم هذه الفرقة «القرامطة» ، و«الخُرَّمِيَّة» ، و«الإسماعيلية» ، و«الحشاشين» .

وقد ظهرت «حركة الباطنية» فى العصر السلجوقي بصورة أقلقت سلاطين «السلاجقة» ، واستنفدت الكثير من جهودهم ، فقد استطاع زعيمهم «الحسن بن الصباح» الاستيلاء على عدة قلاع حصينة فى «فارس» ، أشهرها قلعة «آلموت» بنواحي «قزوين» ، التى ظلت معقل «الحركة الباطنية» لما يقرب من قرنين من الزمان .

وقد حاول «نظام الملك» أن يضع حداً لنفوذ «الباطنية» وأمر بمطاردتهم فى كل مكان ، وأرسل جيشاً للاستيلاء على «آلموت» ولكنه قتل فى (رمضان سنة ٤٨٥هـ = أكتوبر ١٠٩٢م) ، ورجح المؤرخون قيام «الباطنية» بقتله .

وقد قام «السلاجقة» بمحاولات متتالية لتصفية قواعد «الباطنية» ومحاصرة نشاطهم ، نجح بعضها ، وواجه بعضها الفشل .

وكان السلطان «ملكشاه» أول سلاطين «السلاجقة» الذين حاولوا مواجهة خطر «الباطنية» ، فأرسل إليهم جيشاً بقيادة «أرسلان طاسن» ، ولكنه هزم هزيمة منكرة .

وتعتبر الجهود التى قام بها السلطان «غياث الدين محمد بن ملكشاه» ضد «الباطنية» أخطر ما واجهته هذه الحركة فى عهد «السلاجقة» ، ففى سنة (٥٠٠هـ = ١١٠٧م) توجه السلطان «محمد» بنفسه إلى «أصبهان» لحرب «الباطنية» الذين كانوا يعتصمون بقلعة «شاهدز» المنيعة بزعامة «أحمد بن عبدالمملك بن عطاش» ، وقد نجح السلطان «محمد» فى الاستيلاء على هذه القلعة وقتل زعيمها «ابن عطاش» وكثيراً من «الباطنية» فى ذى القعدة سنة (٥٠٠هـ = يونيو ١١٠٧) .

وفى عهد السلطان «معز الدين سنجر» (٥١١ - ٥٥٢هـ = ١١١٧ - ١١٥٧م) قتل «الباطنية» وزيره «معين الملك أبا نصر أحمد ابن الفضل» سنة (٥٢١هـ = ١١٢٧م) ، وأدرك السلطان مدى خطورتهم ، فاتبع معهم سياسة المهادنة .

ورغم وفاة زعيم «الباطنية» «الحسن بن الصباح» سنة (٥١٨هـ = ١١٢٤م) فإن «السلاجقة» لم يستطيعوا استرداد قلعة «آلموت» منهم ، فظلت تحت سيطرتهم حتى استولى عليها المغول سنة (٦٥٤هـ = ١٢٥٦م) ، ولم ينحصر نشاط «الإسماعيلية الباطنية» فى عهد «السلاجقة» فى بلاد «فارس» ، بل امتد إلى «الشام» ، وكانت له آثاره

الدمرة ، واتسع نشاطهم فى «حلب» فى عهد أميرها السلجوقي «رضوان بن تثن بن ألب أرسلان» (٤٨٨ - ٥٠٧هـ = ١٠٩٥ - ١١١٣م) ، وحينما تصدى لهم أمير دمشق «تاج الملوك بورى بن طغتكين» سنة (٥٢٣هـ = ١١٢٩م) ، وقتل منهم آلافاً تربصوا به وهاجموه سنة (٥٢٥هـ = ١١٣١م) وجرحوه جراحات خطيرة ، توفى متأثراً بها فى العام التالى .

وكان من أخطر محاولات «الباطنية» لاغتيال خصومهم محاولتهم اغتيال السلطان «صلاح الدين الأيوبي» أكثر من مرة فاشلة . وقد أثرت المتاعب التى أثارها «الباطنية» فى وجه «السلاجقة» على قدرتهم على القيام بدور أكثر إيجابية فى التعامل مع الصليبيين .

وقد ارتبط اسم «الحشاشين» بالباطنية الإسماعيلية فى الفترة التى أعقبت استيلائهم على قلعة «آلموت» سنة (٤٨٣هـ = ١٠٩٠م) فى أواخر عهد السلطان «ملكشاه» ، وحتى سقوط معاقلمهم فى «فارس» و«الشام» على يد المغول ، وسبب ذلك أنهم كانوا يطلبون من الذين يتم تكليفهم بالقيام بعمليات الاغتيال تعاطى مادة الحشيش المخدرة حتى يصبحوا أدوات طيعة فى أيدي من يستخدمونهم لتنفيذ هذه العمليات .

رابعاً : سقوط الخلافة

الفاطمية ودخول مصر

تحت لواء الخلافة العباسية

[٥٦٧هـ = ١١٧١م]

ظلت «مصر» خاضعة للفاطمين أكثر من قرنين تعاقب خلالها على كرسى الخلافة الفاطمية بمصر أحد عشر خليفة ، ابتداءً بالمعز لدين الله وانتهاءً بالعاقد لدين الله ، الذى عادت «مصر» فى عهده إلى الخلافة العباسية فى (المحرم سنة ٥٦٧هـ = سبتمبر ١١٧١م) ، فبعد وفاة الخليفة الفاطمى «الفائز بنصر الله» فى رجب سنة (٥٥٥هـ) تولى «العاقد بالله» ، آخر خلفاء الفاطمين ، عرش «مصر» ، وكان صبيًا لم يبلغ الحلم ، فأشرف وزيره «طلّاح بن رزّيك» الأرمنى على تدبير شئون البلاد ، حتى قتل فى رجب سنة (٥٥٦هـ = يونيو ١١٦١م) بتدبير من حاشية «العاقد» ؛ فتولى الوزارة بعده ابنه «رُزّيك بن طلّاح» ، الذى قتل أيضاً فى سنة (٥٥٨هـ = ١١٦٣م) ، على يد أحد منافسيه وهو «شاوّر بن مجير السعدى» الذى تولى الوزارة بعده .

كان «شاوّر» انتهازياً سيئ الطبع ، خبيثاً سفاكاً للدماء ، أساء معاملة الرعية ، فثار عليه أحد القادة المشهورين فى «مصر» وهو «ضِرغام بن عامر» ، واستطاع هزيمته هزيمة ساحقة وكان ذلك

بداية الطريق لانتهاه النفوذ الفاطمى فى «مصر» .

لجأ «شاوّر» بعد هزيمته إلى السلطان «نور الدين محمود» بالشام ، وأطمعه فى ملك «مصر» ، فأرسل معه حملة للاستيلاء على «مصر» بقيادة «أسد الدين شيركوه ابن شاوى الكردي» عم «صلاح الدين الأيوبي» ، فدخل «القاهرة» فى أواخر جمادى الآخرة سنة (٥٥٩هـ = مايو ١١٦٤م) ، وقتل «ضِرغام» ، وأعاد «شاوّر» للوزارة فى رجب سنة (٥٥٩هـ = مايو ١١٦٤م) ، إلا أن «شاوّر» غدر بعهده مع السلطان «نور الدين محمود» وقائده «أسد الدين» ، فطلب من «أسد الدين» العودة إلى «الشام» فرفض واتجه إلى مدينة «بليس» ، واستولى عليها وتحصن بها .

استعان «شاوّر» بملك «بيت المقدس» الصليبي «أمريك» الذى تسميه المصادر العربية «مُرّى» ، وشرح له ما قد يتعرض له الفرنج من مخاطر إذا استولى السلطان «نور الدين محمود» على «مصر» ، فاستجاب له «أمريك» وتقدم بجيشه نحو «مصر» ؛ حيث اتجه مع «شاوّر» إلى «بليس» لمحاصرة «أسد الدين شيركوه» ، إلا أن الأخبار جاءت إلى «أمريك» بأن «نور الدين محمود» انتهز فرصة غيابه عن «فلسطين» فهاجمها واستولى على بعض قلاعها ، فاضطر «أمريك» إلى رفع الحصار عن «أسد الدين شيركوه» والتفاوض معه على العودة إلى «الشام» ، فتوجه «أسد الدين» إلى «الشام» فى ذى الحجة سنة (٥٥٩هـ = أكتوبر ١١٦٤م) .

وفى (ربيع الآخر سنة ٥٦٢هـ = فبراير ١١٦٧م) قاد «أسد الدين» حملته الثانية على «مصر» ، بعد استئذان السلطان «نور الدين محمود» ، فاستنجد «شاوّر» بالصليبيين وملك «بيت المقدس» «أمريك» ، والتقى الطرفان فى مكان يسمى «البابن» بنواحي المنيا بصعيد «مصر» فى (٢٥ جمادى الآخرة سنة ٥٦٢هـ = إبريل ١١٦٧م) ، واستطاع «أسد الدين شيركوه» أن يهزم جيش «أمريك» و«شاوّر» رغم قلة جنده ، كما استولى على «الإسكندرية» وأتاب عليها ابن أخيه «صلاح الدين» ، واستولى على الصعيد .

وقد حاول الفرنج انتزاع «الإسكندرية» من «صلاح الدين»



فحاصروها عدة أشهر بلا ٣٣، «دة» ، فتم الاتفاق بين الفرنج و«أسد الدين» على تسليم «الإسكندرية» لشاوّر مقابل حصول «أسد الدين» على خمسين ألف دينار وانسحاب الفرنج من «مصر» .

وتطورت الأحداث فى «مصر» بصورة خطيرة ، فقد حاول ملك «بيت المقدس» «أمريك» السيطرة على «مصر» بمعاونة «شاوّر» ، فاستولى على «بليس» فى (صفر ٥٦٤هـ = نوفمبر ١١٦٨م) وتوجه إلى «القاهرة» وحاصرها ، مما دفع الخليفة الفاطمى «العاقد» إلى أن يستغيث بالسلطان «نور الدين محمود» ، الذى أرسل إليه حملة بقيادة «أسد الدين شيركوه» ومعه ابن أخيه «صلاح الدين» ، فرفع

الفرنج الصليبيين حصارهم عن «القاهرة» وتركوا «مصر» قبل وصول جيش «أسد الدين شيركوه» ، فأصبح الطريق ممهداً أمام «أسد الدين» ، ودخل «القاهرة» فى (السابع من ربيع الآخر سنة ٥٦٤هـ = يناير ١١٦٩م) ، وقتل «شاوّر» بإذن من الخليفة «العاقد» فى (١٧ ربيع الآخر سنة ٥٦٤هـ = ١٨ من يناير ١١٦٩م) وأصبح «أسد الدين شيركوه» وزيراً للخليفة «العاقد» ، وبعد وفاته فى (٢٢ من جمادى الآخرة سنة ٥٦٤هـ) تولى ابن أخيه «صلاح الدين» الوزارة ولقبه «العاقد» بالملك الناصر ،

فانتهى نفوذ الفاطمين الفعلى فى «مصر» وأصبحت خلافتهم شكلية فقط .

وعقب تولى «صلاح الدين» الوزارة ، بدأ يمهّد الأمور للقضاء التام على النظام الفاطمى فى «مصر» ، فاستقل بالأمور ، ومنع الخليفة «العاقد» من التصرف فى شئون البلاد ، ثم عزل قضاة «مصر» الشيعة سنة (٥٦٦هـ = ١١٧١م) ، وعين «عبد الملك بن درباس» من كبار فقهاء الشافعية فى منصب «قاضى القضاة» ، وأوقف الأذان بحى على خير العمل فى ديار «مصر» كلها ، وهى العبارة التى تقحمها الشيعة فى صيغة الأذان المعروفة .

وفى (الجمعة الثانية من شهر المحرم سنة ٥٦٧هـ = سبتمبر ١١٧١م) أمر «صلاح الدين» خطباء «مصر» بقطع الخطبة للعاقد وأن يخطبوا للخليفة العباسى المستضىء وبذلك سقطت الخلافة الفاطمية فى «مصر» ، وخضعت «مصر» مرة ثانية للخلافة العباسية ، مما كان له صدى هائل من الفرح والبهجة فى مجتمع أهل السنة فى جميع بقاع العالم الإسلامى .

وقد توفى الخليفة «العاقد» فى (العاشر من المحرم سنة ٥٦٧هـ = ١٣ من سبتمبر ١١٧١م) بعد قطع الخطبة له وانتهاء خلافته بأيام قليلة .

رابعاً : عصر ما بعد السلاجقة

[٥٩٠ - ٦٥٦هـ = ١١٩٤ - ١٢٥٨]



تعاقب على منصب الخلافة في هذا العصر أربعة خلفاء هم :

- ١ - الناصر لدين الله (٥٩٠ - ٦٢٢هـ = ١١٩٤ - ١٢٢٥م) .
- ٢ - الظاهر بأمر الله (أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله) (٦٢٢ - ٦٢٣هـ = ١٢٢٥ - ١٢٢٦م) .
- ٣ - المستنصر بالله (أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله) (٦٢٣ - ٦٤٠هـ = ١٢٢٦ - ١٢٤٢م) .

- ٤ - المستعصم بالله (أبو أحمد عبدالله بن المستنصر بالله) (٦٤٠ - ٦٥٦هـ = ١٢٤٢ - ١٢٥٨م) .

أما أول هؤلاء الخلفاء - وهو «الناصر لدين الله» - فقد حاول أن يضع حداً لطموح «علاء الدين تكش» ، الذي أراد أن يتنازل له الخليفة عن السلطة المدنية في «بغداد» ، وأن يكتفى بالسلطة الاسمية على العالم الإسلامي ، فأشعل الخليفة فتيل الصراع بينه وبين سلطان الغور «غياث الدين محمد بن بهاء الدين» ، ونشبت بينهما الحرب سنة (٥٩٤هـ = ١١٩٨م) وانتهت بهزيمة «تكش» .

ولم يكتفِ الخليفة «الناصر» بالاستعانة بالغوريين لإضعاف نفوذ الخوارزميين ، بل إنه استعان بالإسماعيلية الباطنية ، وطلب من التتار (المغول) مساعدته في القضاء على نفوذ أمراء «خوارزم» ، فكان «الناصر» كالمستجير من الرمضاء بالنار ؛ حيث قضى التتار على «الدولة الخوارزمية» ، وقضوا على «الخلافة العباسية» أيضاً .

- ظهور المغول والقضاء على الدولة الخوارزمية :

المغول اسم أطلقه «جنگيزخان» على أتباعه ، وهم شعب وثيق الصلة بالترك في اللغة والشكل ، يقيم في المنطقة الواقعة ما بين «الصين» و«سبيريا الجنوبية» والمنطقة المعروفة

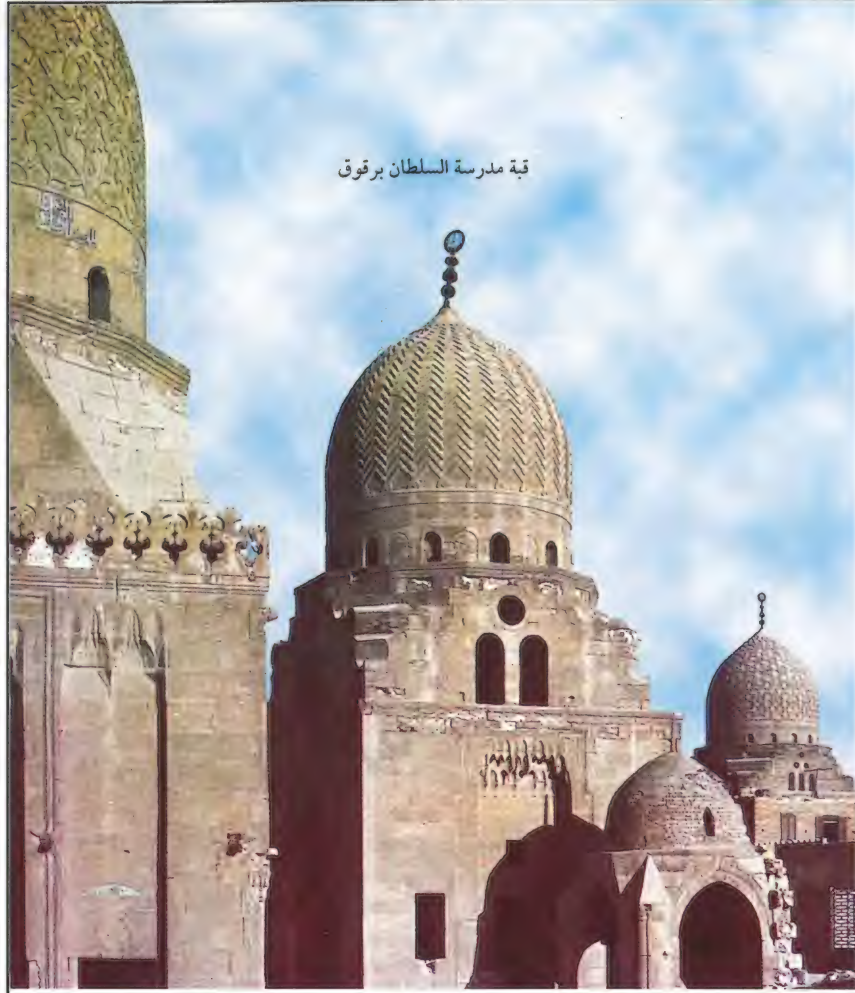
وقد استطاع «جنگيز خان» تكوين إمبراطورية شاسعة ، ففي سنة (٦١٢هـ = ١٢١٥م) استولى على «بكين» وفي ذى الحجة سنة (٦١٦هـ = ١٢١٩م) استولى على مدينة «بخارى» عاصمة «ما وراء النهر» وأشعل فيها النار ، فحولها إلى كومة رماد ، وقتل من أهلها ثلاثين ألفاً .

وفي العاشر من المحرم سنة (٦١٧هـ = ١٧ من مارس ١٢٢٠م) استولى على «سمرقند» ؛ فسوأها بالأرض بعد أن قتل أهلها بلا رحمة .

وفي شوال سنة (٦١٧هـ = نوفمبر ١٢٢٠م) توفي السلطان «علاء الدين محمد بن تكش» بعد أن استبد به الغم بسبب سقوط «ما وراء النهر» في يد المغول واقتربهم من «خوارزم» ، فتولى بعده ابنه «جلال الدين منكبرتي» ، الذي يعرف عادة باسم «جلال الدين منكبرتي» ، وهو آخر سلاطين «خوارزم» .

وفي أوائل عهد «جلال الدين» سنة (٦١٨هـ = ١٢٢١م) استولى المغول على «خوارزم» بعد حصار دام خمسة أشهر ، وسقطت بذلك «الدولة الخوارزمية» ببلاد «ما وراء النهر» ، وفر السلطان «جلال الدين» متنقلاً في عدة بلاد حتى قتلته جماعة من الأكراد الناقمين بإحدى قرى «ميافارين» ، في منتصف شوال سنة ٦٢٨هـ = أغسطس ١٢٣١م) ، ففقد المسلمون بطلاً كانوا يطمعون في توحيد صفوفهم تحت لوائه لإيقاف طوفان المغول الجارف .





قبة مدرسة السلطان برقوق

وقد شهدت خلافة «المستعصم» حدثًا خطيرًا كانت له آثاره البعيدة في التاريخ الإسلامي هو انتهاء حكم «الأسرة الأيوبية» في «مصر» وبداية حكم المماليك ، سنة (٦٤٨هـ = ١٢٥٠م) ، وكان الملك المعظم «توران شاه» آخر حكام الأيوبيين في «مصر» ، ولم يستمر حكمه شهرًا ، فقد تولى الحكم في أول شهر المحرم سنة (٦٤٨هـ = منتصف إبريل ١٢٥٠م) ، وقتل في السابع والعشرين من الشهر نفسه بتدبير زوجة أبيه «الملك الصالح» المعروفة باسم «شجرة الدر» التي تولت الحكم بعده وتزوجت «المعز أليك التركمانى» ،

أحد مماليك زوجها الراحل «نجم الدين أيوب» ، ثم خلعت نفسها من الحكم بعد ثلاثة أشهر هي صفر وربيع الأول وربيع الثانى من عام (٦٤٨هـ = ١٢٥٠م) ، وتولى زوجها «المعز أليك» حكم «مصر» ، وكان ذلك بداية العصر المملوكى في «مصر» .

وقد استمر الملك «المعز أليك» في حكم «مصر» سبع سنوات ، ثم قُتل في الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة (٦٥٥هـ = ١٠ من إبريل ١٢٥٧م) بتدبير زوجته

«شجرة الدر» ، حين أراد الزواج عليها ، فتولى الحكم بعده ابنه «الملك المنصور نور الدين على ابن أليك» ، وكان صبيًا في الخامسة عشرة من عمره ، لا يحسن تدبير الأمور ، فتم خلعُه بعد ولايته بنحو ستين وثمانية أشهر في (١٧ من ذى القعدة سنة ٦٥٧هـ = ٥ من نوفمبر ١٢٥٩م) ، وتولى زمام السلطة بعده «الملك المظفر سيف الدين قطز» ، الذى كان له شأن كبير في الجهاد الإسلامى ضد المغول .

(١٢٤٢م) ، وأصبح على أبواب «العراق» ، حيث تعرضت «الجزيرة» فى شمال «العراق» لهجمات المغول المدمرة .

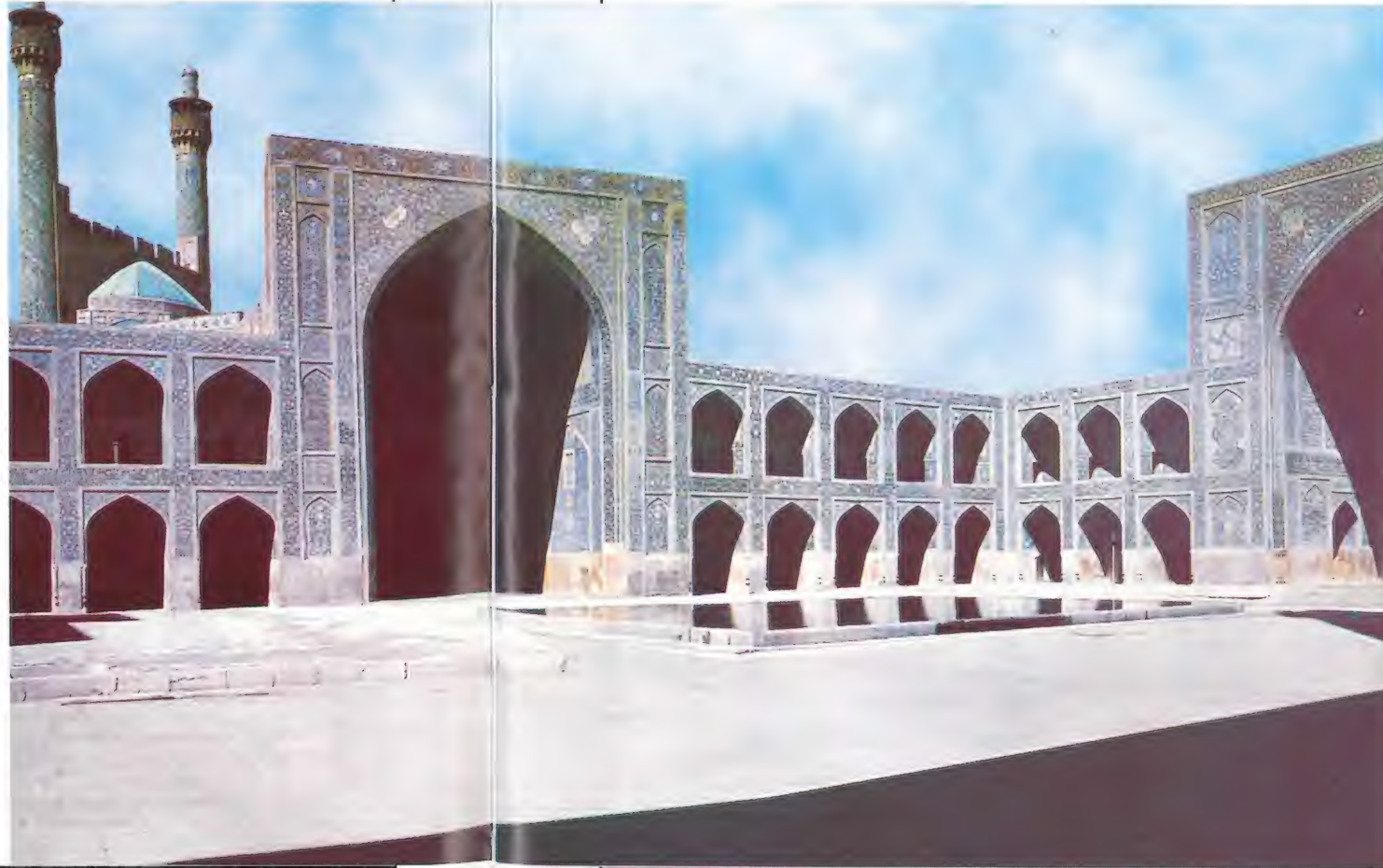
وقد اجتمع على المسلمين فى هذه الفترة الخطر المغولى القادم من الشرق ، والخطر الصليبي القادم من الشمال ، وانشقاق البيت الأيوبي على نفسه عقب وفاة «صلاح الدين الأيوبي» ، ولم يستطع الخليفة «المستنصر» أن يفعل شيئًا لعدم قدرته على ذلك .

وبعد وفاة الخليفة «المستنصر» فى جمادى الآخرة سنة (٦٤٠هـ = نوفمبر ١٢٤٢م) تمت البيعة لابنه «أبى أحمد عبدالله» الملقب بـ «المستعصم بالله» ، وهو آخر الخلفاء

وقد تُوِّفَى الخليفة «الناصر» فى أواخر رمضان سنة (٦٢٢هـ = سبتمبر ١٢٢٥م) وعمره نحو سبعين عامًا ، بعد أن استمر فى الحكم سبعة وأربعين عامًا . وقد شهدت خلافته سقوط «دولة السلاجقة» ، وظهور قوة المغول ، وإسقاطهم «الدولة الخوارزمية» ، وتهديدهم للعالم الإسلامى كله ، وكانت الخلافة العباسية قد فقدت معظم أرضها ولم تعد كلمة الخليفة مسموعة إلا فى بعض «العراق» ؛ فأصبحت الخلافة شكلاً بلا مضمون ووقفت عاجزة أمام هذه الأحداث التى زلزلت كيان الأمة الإسلامية كلها .

وقد تولى الخلافة بعد «الناصر» ابنه «أبو نصر محمد» الملقب بالظاهر بأمر الله ، وكان حسن السيرة ، عادلاً ، لكن خلافته لم تطل ، فقد تُوِّفَى فى ١٤ من رجب سنة (٦٢٣هـ = ١١ من يوليو ١٢٢٦م) ، فلم يدم فى الخلافة عامًا .

وتولى الخلافة بعد الظاهر بأمر الله ابنه «أبو جعفر المنصور» الملقب بـ «المستنصر بالله» ، فسار على طريقة أبيه فى العدل والإحسان وتقريب أهل العلم والدين ، وقمع المتمردين ، ولكن الظروف القاسية التى أحاطت بالخلافة فى ذلك الوقت قيدت الخلفاء وشلت قدرتهم على العطاء ، فقد تصاعد خطر المغول فى خلافة «المستنصر بالله» (٦٢٣ - ٦٤٠هـ = ١٢٢٦ -

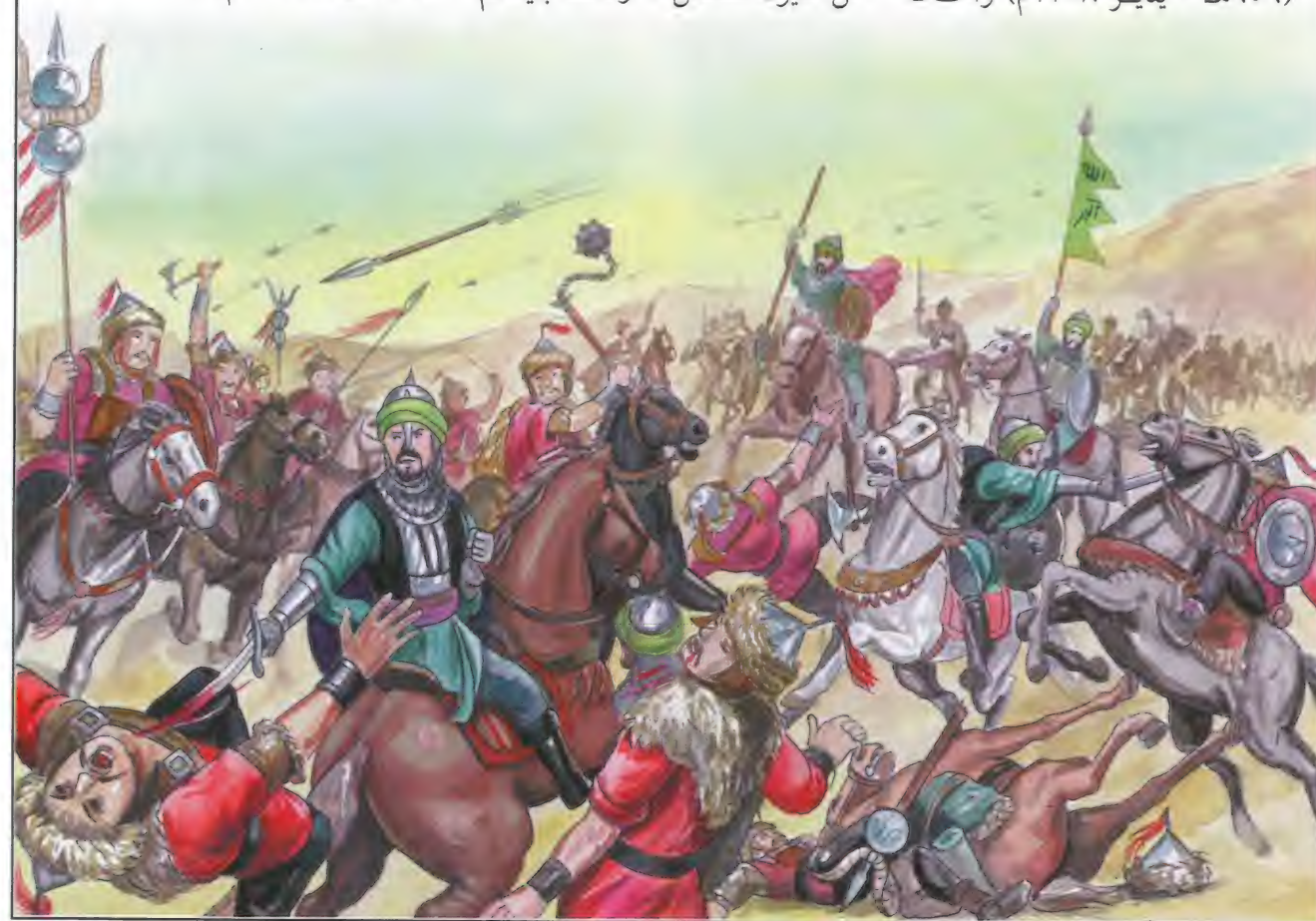


* سقوط بغداد في يد المغول
وانهيار الخلافة العباسية في
العراق [٦٥٦هـ = ١٢٥٨م]:

تصاعد خطر المغول في خلافة
«المستعصم بالله»، وخرج قائدهم
«هولاكو» (١٦) - حفيد
«جنكيزخان» - على رأس جيش
يبلغ تعداده مائتي ألف قاصداً
«العراق»، وأرسل إلى الخليفة
«المستعصم» يطالبه بالاستسلام
والدخول في طاعته، لكن الخليفة
أرسل بعض الهدايا إلى
«هولاكو»!!

وقد وصل جيش «هولاكو» إلى
«بغداد» في شهر المحرم سنة
٦٥٦هـ = يناير ١٢٥٨م وأحاط

بعاصمة الخلافة، وكان جيش
«بغداد» قليل العدد لا يبلغ عشرة
آلاف فارس، بعد أن كان مائة ألف
في عهد الخليفة «المستعصم»، ولم
يصمد جيش «بغداد» طويلاً في
مواجهة المغول، فاقتحمت قوات
«هولاكو» «بغداد» في (العاشر من
المحرم سنة ٦٥٦هـ = ١٧ من يناير
١٢٥٨م)، وقبض «هولاكو» على
الخليفة «المستعصم» وأهل بيته،
بتدبير من وزيره الخائن «ابن
العقلمى»، كما تم القبض على
عدد كبير من علماء «بغداد»
وأعيانها وأمرائها، وتم قتلهم
جميعاً، واستمر القتال في «بغداد»
أربعين يوماً، وبلغ عدد القتلى أكثر
من مليون شخص، وكانت بلية لم



أهم جوانب النشاط الحضاري

في العصر العباسي الثاني

رغم المشاكل السياسية العديدة
التي شهدتها دولة الخلافة العباسية
في عصرها الثاني فإن الالاف
للنظر أن هذه الحقبة تُعدّ أخصب
عصور التاريخ الإسلامي في عطائها
الحضاري المتعدد الجوانب .
وسنكتفي هنا بتقديم نبذة مختصرة
عن أهم هذه الجوانب :

٨٨٣م) وأبى الحسن الدارقطني
(ت: ٣٨٥هـ = ٩٩٥م)، الذي
يصفه ابن كثير بأنه كان «فريد
عصره ونسيج وحده وإمام دهره في
أسماء الرجال وصناعة التعليل
والجرح والتعديل وحسن التصنيف
والتأليف واتساع الرواية والاطلاع
التام في الدراية». ومن هؤلاء أيضاً
الحاكم النيسابوري المتوفى سنة
(٤٠٥هـ = ١٠١٤م)، وقد عرف
عنه أنه كان من أهل الدين والأمانة



١ - الجانب الثقافي :

نشطت حركة التأليف في فروع
العلم المختلفة نشاطاً ملحوظاً طوال
هذه الفترة وقدمت دولة الخلافة
المتراامية الأطراف علماء أفذاذاً
يعترف لهم العالم كله - حتى يومنا
هذا - بالفضل والمكانة .

ففي مجال علوم الحديث يتألق
اسم عمدة المحدثين الإمام البخاري
المتوفى سنة (٢٥٦هـ = ٨٧٠م) هذا
بالإضافة إلى مجموعة أخرى من

أعلام المحدثين لعل أبرزهم الإمام
مسلم (ت: ٢٦١هـ = ٨٧٥م)،
وأبو داود (ت: ٢٧٥هـ = ٨٨٨م)،
وابن ماجه (ت: ٢٧٣هـ =
٨٨٦م)، والترمذي (ت: ٢٧٩هـ =
٨٩٢م)، والنسائي (ت: ٣٠٣هـ =
٩١٥م)، وهؤلاء هم
أصحاب الصحاح المعروفون . وقد
برز من غير أصحاب الصحاح أيضاً
عدد من أئمة المحدثين، من أمثال
داود الظاهري (ت: ٢٧٠هـ =

والصيانة والضبط والتجرد والورع،
سمع الكثير وطاف الآفاق وصنف
الكتب الكبار والصغار .
وفي مجال العلوم اللغوية وجدنا
أعلاماً نابهين يضيق عنهم الحصر .
ومن هؤلاء محمد بن يزيد المبرد
صاحب الكامل (ت: ٢٨٥هـ =
٨٩٨م)، وقد كان إمام النحاة في
عصره . ومن النحاة المشهورين
أيضاً الزجاج المتوفى سنة (٣١١هـ =
٩٢٣م). وقد احتل عالم اللغة

الشهير أبو علي الفارسي (المتوفى ببغداد سنة ٣٧٧هـ = ٩٨٧م) مكانة متميزة في بلاط الملك البويهى «عضد الدولة». وقد صنف الفارسي لعضد الدولة كتاب «الإيضاح» و«التكملة» في النحو، وكان عضد الدولة يغدق عليه العطاء ويحيطه بمظاهر التكريم، وكان يقول: «أنا غلام أبى علي في النحو» ومن عاصروا الفارسي من أعلام اللغة أبو سعيد السيرافي (المتوفى ببغداد سنة ٣٦٨هـ = ٩٧٩م). وقد ولى القضاء ببغداد. وكان السيرافي من أعلم الناس بنحو البصريين. ومن بين مؤلفاته كتاب «أخبار النحويين البصريين» وكتاب «الوقف والابتداء». يقول عنه ابن خلكان: «كان الناس يشتغلون عليه بعدة فنون: القرآن الكريم والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والحساب والكلام والشعر والعروض والقوافي». وبرز أيضاً من بين علماء اللغة في القرن الرابع الهجري ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) المتوفى سنة (٣٩٠هـ = ١٠٠٠م) على أشهر الأقوال. ومن كتبه الذائقة الصيت كتاب «المجمل» في اللغة. وقد كان ابن فارس مقيماً بهمدان، وله رسائل أدبية أنيقة وأشعار رقيقة.

على أننا لا نستطيع في هذا السياق أن نخفل اسم عالم يُعد من أعظم علماء اللغة، لا في العصر العباسي الثاني فحسب؛ بل على امتداد العصور الإسلامية كلها، وهو «أبو الفتح عثمان بن جنى» الذى ولد بالموصل وتوفى ببغداد سنة (٣٩٢هـ = ١٠٠٢م). ومن بين كتبه الذائقة الشهرة الزاخرة بالقيمة في مجال اللغة كتاب «الخصائص». وله أيضاً «سر الصناعة»، و«المذكر والمؤنث»، و«المقصود والممدود»، و«اللمع» وغير ذلك. وقد شرح ابن جنى ديوان المتنبي وكان من المعجبين بشعره. وكان ابن جنى صاحب حس أدبي مرفه، وقد انعكس ذلك على كتاباته العلمية التى اتسم أسلوبها بالجمال الأخاذ فضلاً عن الدقة البالغة.

وفي مجال الأدب - إبداعاً وتأليفاً - شهد هذا العصر نهضة تأخذ بالألباب، فقد لمع فيه كوكبة من أعظم شعراء العربية، نذكر منهم - على سبيل المثال لا الحصر - البحترى شاعر الخليفة المتوكل (ت: ٢٨٤هـ = ٨٩٧م)، وقد اشتهر بلغته الموسيقية العذبة ووصفه الرائع؛ وابن الرومى (ت: ٢٨٣هـ = ٨٩٦م)، وقد اشتهر بقدرته على توليد المعانى وابتكار الصور المعبرة؛ والمتنبي (ت: ٣٥٤هـ = ٩٦٥م) الذى مازال يحتل مكان السبق بين

شعراء العربية قديماً وحديثاً. وقد خصَّ سيف الدولة الحمداني بعيون مدائحه، كما مدح الملك البويهى عضد الدولة، وأمير مصر كافور الإخشيدي وغير هؤلاء من أعيان عصره، ومن أبرز شعراء هذا العصر أيضاً: الشريف الرضى الذى ينتهى نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب. كان وثيق الصلة بالخليفة القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢هـ = ٩٩١ - ١٠٣١م)، وتوفى ببغداد سنة (٤٠٦هـ = ١٠١٥م)، وعدّه بعض النقاد أشعر قريش. يقول عنه الثعالبي فى يتيمة الدهر: «هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر، على كثرة شعرائهم المفلّحين، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أخبر به شاهد عدل، من شعره العالى القدح الممتنع عن القدح، الذى يجمع إلى السلاسة متانة وإلى السهولة رصانة، ويشتمل على معانٍ يقرب جناها ويبعد مداها».

ويحتل الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعرى مكانة مرموقة بين شعراء هذا العصر، وقد ولد فى عام (٣٦٣هـ = ٩٧٤م) فى معرة النعمان، وهى بلدة صغيرة فى شمالي الشام بين حلب وحمص وتوفى فى سنة (٤٤٩هـ = ١٠٥٧م)، أى أنه عاش فى فترة النفوذ البويهى وعاصر من خلفاء



العباسيين الطائع لله والقادر بالله والقائم بأمر الله، ولأبى العلاء ديوان «سقط الزند» و«لزوم ما لا يلزم» المشهور باسم «اللزوميات»، وسمى بذلك لأنه ألزم نفسه فيه بما لا تفرضه عليه أصول القافية مما يدل على سعة بابه فى اللغة. ويُعدُّ أبو العلاء إمام الشعراء الذين صبغوا شعرهم بصبغة تأملية فلسفية.

وبجانب أصحاب الإبداع الشعرى ظهر مبدعون كثيرون فى ميدان النثر الفنى فى العصر العباسي الثانى. ففى مطلع هذا العصر لمع اسم الجاحظ (أبى عثمان عمرو بن بحر) المتوفى بالبصرة سنة (٢٥٥هـ = ٨٦٩م). والجاحظ إمام المنشئين فى تاريخ الأدب العربى بلا جدال.

كان على مذهب المعتزلة وكان موسوعى الثقافة متجدد الفكر. وقد ترك أسلوبه بصمات واضحة على أساليب كثير من جاءوا بعده. ومؤلفات الجاحظ عديدة وذائقة، تتم عن ذهن ناضج وفكر متدفق.

ومن أشهر كتبه كتاب «الحيوان» و«البيان والتبيين» و«البخلاء». وله رسائل مختلفة طبعت تحت اسم «رسائل الجاحظ»، وهى تتناول موضوعات شتى.

ومن أبرز الذين تأثروا بالجاحظ وحاولوا أن ينهجوا نهجه أبو الفضل محمد بن العميد المتوفى سنة (٣٦٠هـ = ٩٧١م). ولتمكنه فى فن الإنشاء عرف باسم «الجاحظ الثانى»، وهو الذى قيلت فيه العبارة المشهورة: «بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد». وعبد الحميد هنا هو عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان ابن محمد



آخر الخلفاء الأمويين ، عاش ابن العميد في ظل البويهيين وعمل وزيراً لركن الدولة - الحسن ابن بويه - وكان - كما يصفه ابن خلكان - «متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه» . ويصفه ابن الأثير بأنه كان من محاسن الدنيا ، قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من حسن التدبير وسياسة الملك ، والكتابة التي أتى فيها بكل بديع» .

وقد صرح ابن العميد وتأثر به في طرائقه «أبو القاسم إسماعيل ابن عباد» المعروف بالصاحب بن عباد . ولقب بالصاحب لصحبته لابن العميد ، وكان يقال له أحياناً صاحب ابن العميد . وقد تولى الصاحب بن عباد الوزارة لمؤيد الدولة بين ركن الدولة ثم لأخيه فخر الدولة . وفضلاً عن براعة الصاحب في فن الإنشاء - كأستاذه ابن العميد - كان محباً للعلم ذواقة للأدب ، كما كان شاعراً جيداً



لوحة من مقامات الحريري تمثل طبيعة الحياة في القرن الثالث عشر رسمها فنان العصر العباسي يحيى الواسطي

النظم . والجدير بالذكر هنا أن كلا من ابن العميد والصاحب بن عباد كان له مجلس يحفل بوجوه الشعراء والعلماء والمفكرين . وكان من بين المترددين على مجلس ابن العميد أبو الطيب المتنبي شاعر العربية الأكبر ، وقد مدحه بقصيدة من عيون شعره . وتوفي الصاحب ابن عباد بمدينة الري في سنة (٣٨٥هـ = ٩٩٥م) .

ومن الذين تميزوا في مجال النثر الفني بديع الزمان الهمداني (وهو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى) الذي سكن هراة من بلاد خراسان وتوفي بها في سنة

مقامات الراحل الأول بديع الزمان . وتكشف مقامات الحريري عن البراعة الكبيرة لصاحبها في التصرف في اللغة وتطويعها لما يريده من معان وأفكار ، وهي إحدى الوسائل المهمة لمن يبحثون عن إثراء ملكاتهم اللغوية .



وبجانب الإبداع الأدبي شعراً ونثراً تميز العصر العباسي الثاني بظهور الكثير من الموسوعات الأدبية التي تُعدّ مراجع أساسية لطلاب المعرفة في هذا المجال . ونكتفي هنا بذكر أمثلة لأبرز هذه الموسوعات . وقد لمع في هذا الجانب ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبدالله بن مسلم) الذي ولد بالكوفة وتثقف بها وسكن بغداد زمناً ولكنه نسب إلى الدينور لأنه تولى قضاءها . وقد توفي ابن قتيبة في سنة (٢٧٦هـ = ٨٨٩م) في خلافة المعتمد على الله . وقد خلف لنا ابن قتيبة عدداً من الموسوعات الأدبية المهمة يأتي على رأسها كتاب «عيون الأخبار» ، وكتاب «الشعر والشعراء» . ومن كتبه الأدبية المهمة أيضاً كتاب «أدب الكاتب» الذي يتحدث فيه عما يحتاج إليه الأديب من فنون المعرفة ليمارس صنعة الكتابة على الوجه الأمثل . ويُعدّ أبو الفرج الأصفهاني أبرز أصحاب الموسوعات الأدبية في هذا العصر . وقد كان ملازماً للوزير المشهور أبي محمد حسن بن محمد المهلبى وزير معز الدولة ، أحمد بن بويه . وكان المهلبى بصحبة معز الدولة عند انتقاله إلى بغداد ، كما ذكرنا ذلك في موضعه . وما يحفظه التاريخ للمهلبى أنه كان محباً للأدب مقرباً لأهله ، وكان يعرف لذوى القرائح الجيدة أقدارهم ويغدق عليهم من

كرمه ورعايته . ومن هنا قرب أبا الفرج الأصفهاني ورعى مكانته . ولاشك أن موسوعة «الأغاني» للأصفهاني تعد من أهم الموسوعات الأدبية وأكثرها انتشاراً وشمولاً فيما يختص بتاريخ الأدب العربي والثقافة العربية حتى نحو منتصف القرن الرابع الهجري . وقد توفي أبو الفرج الأصفهاني في سنة (٣٥٦هـ = ٩٦٧م) .

ويتميز أيضاً بين أصحاب الموسوعات الأدبية «أبو منصور الثعالبي» (وهو عبدالله بن محمد ابن إسماعيل) . ولد بنيسابور في سنة (٣٥٠هـ = ٩٦١م) ، وتوفي في سنة (٤٢٩هـ = ١٠٣٨م) ، أي أنه عاش حياته كلها في فترة نفوذ البويهيين ، شهدت فترة تفتحه الأدبي خلافة الطائع لله والقادر بالله ، وتوفي في خلافة القائم بأمر الله . وكان الثعالبي غزير الإنتاج متنوع الاهتمامات العلمية ، ولكن يقف على رأس مؤلفاته جميعاً كتابه

الموسوعى الضخم «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» ، وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها كما يقول ابن خلكان ، وهو من أربعة مجلدات صرف فيها جل اهتمامه لشعراء القرن الرابع الهجري ورتبهم على أوطانهم ، فقد تناول في أبواب خاصة شعراء الشام ومصر والمغرب والموصل والبصرة وبغداد وأصفهان والجل وبارس والأهواز وجرجان ، وتحدث عن الدولة السامانية وشعرائها وعن خوارزم ، وتحدث أيضاً عن بني بويه وشعرائهم وكتابهم ، وأسهب في الحديث عن ابن العميد والصاحب بن عباد ، كما تحدث عن بلاط سيف الدولة وشعرائه وكتابه . ولاشك أن يتيمة الدهر تعد إحدى الموسوعات الأدبية الأساسية في تاريخ الأدب العربي ، ولا تزال حتى يومنا هذا مصدراً لا غنى عنه للباحثين في الحياة الأدبية في القرن الرابع الهجري .



ولم تكن أنشطة البحث التاريخي بأقل حظاً من الأنشطة الأدبية في دولة الخلافة العباسية في عصرها الثاني . وهذا مجال يطول فيه الكلام ويتشعب ، ولا سبيل إلى استقصاء الحديث فيه . ولكننا نكتفي بتقديم بعض النماذج لأبرز المؤرخين وأهم أعمالهم التاريخية . ويقف شامخاً بين أعلام المؤرخين في صدر العصر العباسي الثاني أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ = ٩٢٢م) في خلافة المقتدر بالله . وقد عاش الطبري في فترة التحول المهمة التي انتقلت فيها الخلافة العباسية من عصرها الأول - عصر القوة السياسية المركزية - إلى عصرها الثاني الذي بدأت فيه السلطة المركزية تضعف ضعفاً ملحوظاً . وهكذا شهد الطبري معظم عصر نفوذ الأتراك ، وقد ولد في أمل بطبرستان في سنة (٢٢٤هـ = ٨٣٩م) وأخذته الرحلة في طلب العلم إلى كثير من بقاع العالم الإسلامي كالعراق والشام ومصر ، ثم استقر به المقام أخيراً في بغداد وبها مات ودفن ، وقد ترك لنا الطبري موسوعته التاريخية الذائعة الصيت وهي : «تاريخ الرسل والملوك» المشهورة باسم «تاريخ الطبري» ، في عشرة مجلدات . وتناول الطبري في هذه الموسوعة الضخمة تاريخ ما قبل الإسلام منذ بدء الخليقة بقدر من الاختصار في

المجلد الأول وبعض الثاني . ثم جاء علاجه المفصل للأحداث منذ بدأ يتناول سيرة الرسول ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين ، وما تلا ذلك من تاريخ الدولة الأموية والعباسية حتى عصره . وقد توقف الطبري بتاريخه عند أحداث سنة (٣٠٢هـ = ٩١٤م) في خلافة المقتدر . وتاريخ الطبري منجم غني بالمعلومات حافل بالروايات المختلفة التي تقدم المادة الأساسية للباحث . وهناك إجماع في الشرق والغرب على أن هذا التاريخ يعد عمدة الباحثين في التاريخ الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة .



ومن أعلام المؤرخين الذين ظهوروا في القرن الثالث الهجري أيضاً - بجانب الطبري - ابن قتيبة (عبدالله بن مسلم) المتوفى سنة (٢٧٦هـ = ٨٨٩م) . وقد أشرنا إليه قبل ذلك عند حديثنا عن الموسوعات الأدبية . ومن أبرز الأعمال التاريخية التي تركها لنا ابن

قتيبة كتاب «المعارف» ، وينسب إليه أيضاً كتاب «الإمامة والسياسة» . كما ظهر اليعقوبي أيضاً ، وهو أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح المتوفى نحو سنة (٢٧٨هـ = ٨٩١م) . وكتابه المعروف بـ «تاريخ اليعقوبي» من المصادر التاريخية الأساسية في تلك الفترة . وهو يقع في مجلدين ، يتناول المجلد الأول التاريخ القديم حتى ظهور الإسلام ، ويتناول الثاني تاريخ الإسلام حتى سنة (٢٥٩هـ = ٨٧٣م) فهو يغطي ثلاث سنين من خلافة المعتمد على الله . وبجانب التأليف التاريخي ألف اليعقوبي في الجغرافيا كتاباً ذائعاً هو «البلدان» الذي يعد من أقدم مصنفات التراث الجغرافي العربي .

وقد برز أيضاً من مؤرخي تلك الفترة - وهي فترة نفوذ الأتراك في العصر العباسي الثاني - أحمد بن يحيى البلاذري وأبو حنيفة الدينوري . أما البلاذري فقد كان مقرباً للخليفين المتوكل والمستعين ، وتوفى في حدود سنة (٢٧٩هـ = ٨٩٢م) . ويعد كتابه «فتوح البلدان» من أوثق الكتب التي تحدثت عن تاريخ الفتوح الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى عصره ، وهو يتميز بدقته في الأسلوب وموضوعيته في العرض والبعد عن الحشو . وهو من بين المصادر التي تحتل قيمة خاصة في هذا الجانب .

وللبلاذري كتاب آخر معروف هو «أنساب الأشراف» ، وهو يقدم مادة تاريخية غزيرة في صدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي الأول من خلال أنساب الرجال الذين يتناولهم بالبحث . أما أبو حنيفة الدينوري المتوفى سنة (٢٨٢هـ = ٨٩٥م) فقد كان موسوعي المعرفة ، برع في علوم كثيرة كالنحو واللغة والهندسة والفلك وغير ذلك ، ولكن الكتاب الذي اشتهر به الدينوري هو كتابه التاريخي المعروف باسم «الأخبار الطوال» الذي يتناول فيه التاريخ الإسلامي منذ ظهور الإسلام حتى وفاة الخليفة المعتصم سنة (٢٢٧هـ = ٨٤٢م) ، مع مقدمة مختصرة عن التاريخ القديم .

وقد استمرت حركة التأليف التاريخي على نشاطها وازدهارها طوال مراحل العصر العباسي الثاني . ومن أبرز المؤرخين الذين شهدوا بداية مرحلة النفوذ البويهي على بن الحسين المسعودي المتوفى سنة (٣٤٦هـ = ٩٥٧م) . ومع أن المسعودي نشأ في بغداد فقد كان دائم الترحل في طلب العلم ، وهو يقدم نموذجاً للعالم الذي جعل العلم ضالته ، فهو ينشده لكل ما أوتي من حول وما وسعه من صبر ؛ فقد ذهب إلى الهند والمثلثان وسرنديب (سيلان) والصين ، فضلاً عن مراكز العلم الشهيرة في أرجاء العالم الإسلامي . ومن أشهر

مؤلفاته التاريخية كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» . وقد تناول فيه تاريخ الأمم القديمة ، ثم تناول تاريخ الإسلام منذ ظهوره حتى خلافة المطيع لله ، وهو أول الخلفاء العباسيين في العصر البويهي . ومن بين الكتب التاريخية الذائعة للمسعودي أيضاً كتاب «التنبيه والإشراف» ، وهو محاولة منه لتقديم كتاب تاريخي مختصر يضم خلاصة ما كتب ، وهو يحتوي على معلومات مهمة من كتب أخرى للمسعودي لم تصل إلينا . ومن بين المؤرخين المتميزين في فترة النفوذ البويهي أيضاً الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣هـ = ١٠٧١م) ، وهو «أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت» . وقد عاش في بغداد التي ينسب إليها ومات بها ، ولكنه رحل طلباً للعلم إلى عدة

مراكز علمية بارزة كالبصرة والكوفة ونيسابور وحلب وبيت المقدس وغيرها . وهو يتميز بغزارة إنتاجه وتنوع اهتماماته العلمية ؛ حيث ألّف في فروع مختلفة من العلم كالتاريخ والفقه والحديث والنحو والأدب وغيرها . ومعظم مؤلفاته لم تصل إلينا ، ولكن موسوعته الضخمة المعروفة باسم «تاريخ بغداد» وصلت إلينا وهي التي أكسبته شهرة واسعة ، وهي تاريخ شامل لبغداد من حيث نشأتها وأحيائها وقصورها ومختلف معالمها ، فضلاً عن تراجم أعلامها من رجال السياسة والعلم والأدب وغير ذلك . ومن هنا تعد هذه الموسوعة مصدراً لا غنى عنه للباحثين في تاريخ الخلافة العباسية منذ نشأتها حتى بداية العصر السلجوقي .



وقد لمع عدد آخر من المؤرخين في المراحل المتأخرة من العصر العباسي الثاني ، لعل أبرزهم عز الدين بن الأثير المتوفى سنة (٦٣٠هـ = ١٢٣٣م) ، وهو صاحب الموسوعة التاريخية الضخمة المعروفة باسم «الكامل في التاريخ» ، وتقع في اثني عشر مجلداً . وقد حذا فيها حذو الطبري في تاريخه ، وتوقف في روايته التاريخية عند أحداث سنة (٦٢٨هـ = ١٢٣١م) . وقد شهد ابن الأثير نهاية فترة النفوذ السلجوقي وعاش شطراً من حياته في فترة ما بعد السلاجقة ، وعاصر مرحلة مهمة في تطور الحروب الصليبية إبّان سلطنة صلاح

الدين الأيوبي ، فكتابه إذن من بين المصادر الأساسية في تاريخ الحروب الصليبية . ويمكننا أن نقول إن موسوعة الكامل في التاريخ لابن الأثير تحتل بين مصادر التاريخ الإسلامي مكانة لا يسبقها إلا موسوعة تاريخ الطبري . ولابن الأثير مؤلفات أخرى في غاية الأهمية لعل أبرزها «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ، وهو موسوعة من سبعة مجلدات يتناول فيها تراجم صحابة رسول الله ﷺ . ونستطيع أن نمضي طويلاً في تناولنا لمختلف جوانب النهضة الثقافية في دولة الخلافة العباسية في عصرها الثاني ، وهي جوانب لا يتسع المجال للحديث التفصيلي

عنها هنا . ولكننا نكتفي بالقول بأن هذه النهضة الثقافية غطت كل مظاهر المعرفة والفن التي عُرِفَت في ذلك الزمان ، فقد شهدت دولة الخلافة العباسية وثبة رائعة في الثقافة الجغرافية ، وعرف التراث الحضاري العباسي جغرافيين أفاضاً كاليقوبي صاحب البلدان ، وقد أشرنا إليه ، والاصطخري من علماء القرن الرابع الهجري ، وهو صاحب كتاب «مسالك الممالك» ، وابن حوقل والمقدسي وهما من علماء القرن الرابع الهجري أيضاً ، وللأول كتاب «المسالك والممالك» ؛ وللثاني كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ، وهو من الكتب المتميزة في هذا الفن .



ولعل من أشهر الجغرافيين في دولة الخلافة العباسية ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦هـ = ١٢٢٩م) وقد ولد في حماة كما يبدو من نسبه ، ولكنه عاش في بغداد . ومعجمه الجغرافي المعروف باسم «معجم البلدان» يُعدُّ من أغزر المصادر مادة في التراث الجغرافي الإسلامي على الإطلاق ، وهو يقع في خمسة مجلدات ضخمة . كما شهد هذا العصر أيضاً نهضة لا تداني في الدراسات العقلية والفلسفية والكلامية . ونبع في هذا المجال أعلام يحتلون مكانة سامقة في تاريخ الفكر الإنساني كله ، فمن بين هؤلاء الفيلسوف الكبير الفارابي المتوفى سنة (٣٣٩هـ = ٩٥٠م) في مطلع العصر البويهي . وهو صاحب كتاب «إحصاء العلوم» وكتاب «السياسة المدنية» وغير ذلك . على أن أبرز هؤلاء هو الشيخ الرئيس ابن سينا المتوفى سنة (٤٢٨هـ = ١٠٣٧م) . وقد عاش شطراً من حياته في بخارى في ظل الدولة السامانية . ومن كتبه الفلسفية المعروفة كتاب «الإشارات» وكتاب «الشفاء» ، وكتاب «النجاة» وغيرها ، هذا بالإضافة إلى مؤلفاته الطبية الفائقة ، وفي مجال الدفاع العقلي عن الإسلام والرد على مناوئيه برز اسم حجة الإسلام «أبي حامد الغزالي» المتوفى سنة (٥٠٥هـ = ١١١١م) ، وهو الذي ناضل



الفلاسفة وكتب عن تهافتهم كتابه المعروف «تهافت الفلاسفة». وقد باشر «الغزالي» التدريس في المدرسة النظامية ببغداد والمدرسة النظامية بنيسابور. وكتابه «إحياء علوم الدين» من أعظم الكتب التي عرضت للإسلام عرضاً بسيطاً مقنعاً مؤثراً. ونظراً لقوة تأثير هذا الكتاب قال البعض: «من لم يقرأ الإحياء فليس من الأحياء»!

وقد حظيت العلوم الطبية والرياضية والفلكية والطبيعية بنصيب وافر من العناية والدراسة في هذا العصر الحافل بالعطاء الحضارى. بل إن فن الموسيقى أيضاً وجد له مجالاً من الاهتمام. والملاحظ أن الفلاسفة العظام، أمثال الفارابى وابن سينا، كانوا يحذقون الطب والرياضة والفلك بل والموسيقى أيضاً. ويعتبر «أبو بكر محمد بن زكريا الرازى» أعظم الأطباء المسلمين في هذا العصر على الإطلاق. وله كتاب «الحاوى» في الطب، الذى يمكن اعتباره عمدة هذا العلم فى العصور الوسطى فى الشرق والغرب. وقد حظى الرازى برعاية ملوك الدولة السامانية، وتوفى فى حوالى سنة (٣٢٠هـ = ٩٣٢م). أما «ابن سينا» فقد كتب «القانون» فى



الطب، وهو الذى كان مع كتاب «الحاوى» للرازى من الأسس المهمة التى اعتمدت عليها أوروبا فى عصر النهضة.

وبعد هذه اللوحة الموجزة عن أهم جوانب النهضة الثقافية فى العصر العباسى الثانى نستطيع أن نقول إن هذه النهضة كانت متكاملة الجوانب. وهذا هو شأن الحضارات العظيمة، فالحضارة روح تعود بالصحة والعافية على جسد الأمة كله فتتوازن فيه ملامح الاكتمال. وقد كان أبرز ما يميز تلك الفترة هى الرغبة العارمة فى العلم والتعطش للمعرفة. ومن هنا وجدنا أصحاب الثقافات الموسوعية الذين أشرنا إلى بعضهم. والملاحظ أن حب العلم

٢ - الجانب الاقتصادى والعمرانى:

من الطبيعى أن يرتبط الجانب العمرانى بالجانب الاقتصادى فى الدولة، فلا عمران إلا باقتصاد قوى. وقد ازدهرت الحياة الاقتصادية ازدهاراً ملحوظاً فى بعض ممالك الدولة العباسية فى العصر الثانى. ولكننا نلاحظ أن السلطة المركزية نفسها لم يعد لها من القوة الاقتصادية ما كان لخلفاء العصر العباسى الأول، وذلك بسبب تحكم الأمراء الذين استأثروا بالنفوذ الحقيقى. ومن هنا نلاحظ أن اقتصاد بعض الإمارات التى كانت تنتمى لدولة الخلافة العباسية من الناحية الشكلية كان أقوى من اقتصاد الخلافة نفسها، بل إن الخليفة فى بعض الأحيان كان مجرد موظف تابع لهؤلاء الأمراء الذى يحددون له راتبه ونشاطه.

وقد توافرت مصادر القوة الاقتصادية فى دولة الخلافة العباسية فى عصرها الثانى، وكان للتقدم العلمى الكبير الذى شهدته هذا العصر أثره الملحوظ فى تحقيق الازدهار الاقتصادى القائم على أسس علمية صحيحة. وقد لعبت النهضة الزراعية دورها فى تحقيق هذا الازدهار الاقتصادى، فقد كانت دولة الخلافة تضم أراضي شاسعة تتسم بالخصوبة والصلاحية لإنتاج شتى المحاصيل. وقامت المدارس الزراعية التى انتشرت فى أرجاء دولة الخلافة العباسية فى ذلك الوقت بجهد علمى كبير فى نشر الوعى الزراعى الصحيح، فتعددت المحاصيل وأدخلت أنواع جديدة منها، وزاد إنتاجها نتيجة استعمال الأسمدة المناسبة. وارتبط بذلك إعادة تطوير نظام الري الذى حول منطقة ما بين

النهرين إلى جنة وارفة الظلال. كما ازدهرت فلاحه البساتين القائمة على أسس علمية ازدهاراً كبيراً وانتشرت كل أنواع النباتات والزهور، «وكانت الزهور تزرع حتى فى أصغر المنازل». وارتبط بنمو الثروة الزراعية نمو الثروة الحيوانية، كما ظهرت الصناعات المعتمدة على الإنتاج الزراعى كمصانع النسيج ومعامل تكرير السكر.

وقد اشتهرت صناعات أخرى فى العصر العباسى الثانى كصناعة الورق التى انتشرت فى مصر والشام وسمرقند، ولكن شهرة سمرقند فى هذا الجانب فاقت غيرها فى ذلك العصر. وازدهرت صناعة الحديد أيضاً فى بلاد فارس. وقد ترتب على الازدهار الزراعى والصناعى الازدهار التجارى.



فالمنتجات المختلفة تحتاج إلى تسويق ، ومن هنا ظهر الاهتمام بتوفير الطرق التجارية المناسبة والعناية بالموانئ والأساطيل التجارية . وقد ازدهرت تجارة المسلمين الخارجية في ذلك العصر مع الهند والصين والبلاد الأوربية .

والجدير بالملاحظة هنا أن الإسلام انتشر في بقاع عديدة عن طريق التجار المسلمين ، وكانت بغداد ودمشق والإسكندرية وعدن والبصرة من بين المراكز التجارية المهمة في ذلك العصر .

وقد اشتهر عدد من دول العصر العباسي الثاني بالقوة الاقتصادية . ومن بين هذه الدول - على سبيل المثال - الدولة الصفارية التي يقال



منمنمة تعبر عن الاهتمام بالزراعة والبساتين

إن مؤسسها «يعقوب بن الليث» ترك في بيت المال عند وفاته ثمانين مليون دينار وخمسين مليون درهم . كما ازدهر أيضاً اقتصاد الدولة السامانية ، وهي التي قامت في منطقة تتمتع بإمكانات اقتصادية هائلة ، وهي بلاد ما وراء النهر . وكذلك ازدهر اقتصاد الدولة البويهية . أما اقتصاد الدولة الغزنوية فقد وصل مدى رائعاً من القوة نتيجة اتساع أطراف تلك الدولة ، وما استطاعت أن تحققه من فتوحات رائعة في بلاد الهند والسند وأفغانستان وغيرها .

وكان النشاط العمراني الواضح ثمرة مباشرة للاستقرار الاقتصادي . فأنشئت الطرق والمدارس والمساجد والقصور والربط في أماكن مختلفة من دولة الخلافة العباسية . ولا يتسع المقام هنا للدخول في تفاصيل هذا



أحد الرحلات إلى بلاد الهند

الجانب ، ولكننا نكتفي ببعض أمثلة قليلة توضح ذلك ، وتستحق الدولة البويهية وقفة خاصة هنا . فقد اهتمت هذه الدولة اهتماماً خاصاً بالجانب العمراني . ولاشك أن عضد الدولة كان أبرز ملوكها في هذا الجانب . فقد صرف كثيراً من جهده للعمارة والتشييد في الأماكن التي خضعت لسلطانه في فارس والري وأصفهان والجلال وغيرها . أما بغداد - بعد انتقاله إليها - فقد حظيت منه باهتمام بالغ . يذكر المؤرخ ابن الأثير في تناوله لأحداث سنة (٣٦٩هـ = ٩٧٩م) أن عضد الدولة شرع في عمارة بغداد في ذلك العام ، وكانت قد خربت بتوالي الفتن عليها ، فعمّر مساجدها وأسواقها . . . وألزم أصحاب الأملاك الخراب بعمارتهما، وجدد ما دثر من الأنهار وأعاد

حفرها وتسويتها ، وأصلح الطريق من العراق إلى مكة . . واهتم اهتماماً كبيراً بمشهد الإمام علي والإمام الحسين رضي الله عنهما . وأذن لوزير «نصر بن هارون» - وكان نصرانياً - في عمارة البيع والأديرة .



مدرسة مداري شاه أصفهان

منمنمة مسجد الرسول ﷺ



تزود بها القصور الملكية كما بنى عضد الدولة في شيراز مستشفى آخر عرف أيضاً باسم «البيمارستان العضدي» . وأقام صهاريج الماء في أماكن مختلفة من مملكته . وبنى سوراً حول مدينة الرسول ﷺ .



وتتميز الدولة السلجوقية كذلك بنشاطها العمراني الكبير في مجالاته المختلفة . ويبرز في هذا الجانب بصفة أخص «ملكشاه» ووزيره العظيم «نظام الملك» . فقد أنشأ «نظام الملك» مدارس النظامية المعروفة ، وزودها بكل احتياجات طلابها . ووجد في ذلك كل تشجيع من السلطان السلجوقي المتميز «ملكشاه» .

والملاحظ أن النشاط العمراني في دولة الخلافة العباسية في العصر الثاني كان يقوم به في الأساس أمراء وسلاطين وملوك الدول التي كانت تخضع للخلافة العباسية خضوعاً روحياً أو شكلياً . أما الخلفاء - بصفة عامة - فلم يكونوا بالمكان الذي يجعلهم قادرين في الأمور بصورة مستقلة طوال معظم هذه الفترة .

صورة سولور على الصفة المدورة والامدي



٣ - الجانب الإداري :

كان لضعف الخلافة العباسية المركزية في العصر الثاني تأثير واضح على النظام الإداري في دولة الخلافة . وأوضح مظاهر هذا التأثير يبدو في نظام «الوزارة» . فقد كانت الوزارة في العصر العباسي الأول - بصفة عامة - تابعة للخليفة خاضعة لنفوذه . وعندما كان الوزراء يحاولون التصرف بصورة مستقلة كانوا يجدون ما يردعهم من بطش الخليفة . أما في العصر العباسي الثاني فقد اختلف الأمر . وقد استمرت الوزارة في فترة نفوذ الأتراك ، ولكن الوزراء كانوا أكثر استقلالاً ونفوذاً وسطوة وتنامت ثروتهم لأنهم لم يكونوا يجدون الخليفة الحازم الذي يحاسبهم أشد الحساب ، وهذا إذا استثنينا فترة صحة الخلافة . فلما كانت



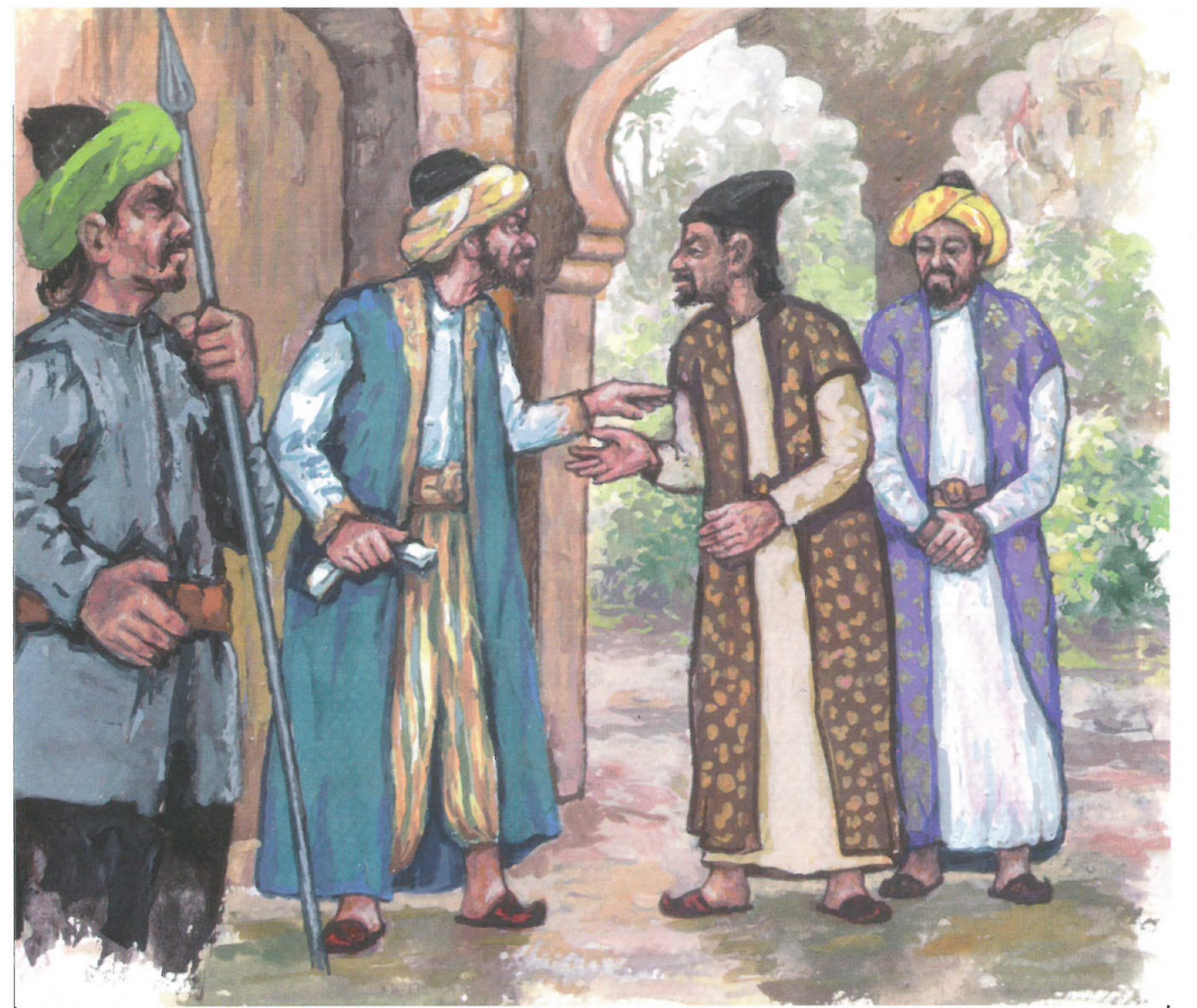
ضريح ينسب للسيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد

السنوات الأخيرة في فترة نفوذ الأتراك بطل منصب الوزارة وحل محله منصب أمير الأمراء الذي جار تقريباً على كل سلطات الخليفة . فلما وقعت الخلافة تحت النفوذ البويهى زال أيضاً منصب أمير الأمراء . فلم يعد هناك للخليفة وزير ولا أمير للأمراء ، وتصرف البويهيون في كل شئون الخلافة تصرفاً مطلقاً وحرّموا الخليفة حتى من سلطاته الشكلية ، مع أنهم اتخذوا لأنفسهم وزراء . وفي فترة النفوذ السلجوقي عاد



من مقامات الحريري - فن سلجوقي

منصب الوزارة ، وأصبح للخليفة وزيره ، وللسلطان السلجوقي وزيره ، ولكن السلطة الحقيقية كانت في يد السلطان السلجوقي ووزيره ، رغم أن السلاجقة عاملوا الخلفاء بما يستحقون من توقير . وبعد زوال نفوذ السلاجقة أصبح للخلفاء وزراءهم المستقلون عن نفوذ الخليفة ، ولكن الخلافة في هذه الفترة كانت في طريقها إلى الزوال الكامل - ولم تكن دولة الخلافة تتجاوز بغداد وبعض الأقاليم الأخرى المحدودة .



وقد تطور منصب الكتابة في العصر العباسي الثاني تطوراً ملحوظاً ، فاستعت سلطة الكاتب وتنأى نفوذه . وكان الكاتب يرأس ديوان الرسائل الذي كان يعد من أخطر دواوين الدولة العباسية . وكان صاحب هذا المنصب يقوم بكتابة الرسائل السياسية وختمها بخاتم الخلافة بعد عرضها على الخليفة ، وكان ينوب عن الخليفة أحياناً في مكتبة الملوك والأمراء . على أن من أهم التطورات التي شهدتها هذا المنصب في العصر العباسي الثاني أنه لم يعد مقصوراً على الخلفاء بل بدأ الأمراء والسلاطين يتخذون لأنفسهم كتاباً أوسع نفوذاً من كاتب الخليفة . وقد كان ذلك نتيجة طبيعية لضعف منصب الخلافة في هذا العصر . ومع أن العصر العباسي الأول عرف نظام الحجابة فقد تطور هذا النظام كثيراً في العصر العباسي الثاني . فقد كان الحاجب في العصر العباسي الأول يقوم بمهمة أساسية هي حجب العامة عن السلطان ، فلا يأذن بالدخول على السلطان إلا لمن يرى أنه يستحق هذا الإذن . أما الحاجب في العصر الثاني فقد تجاوز هذه المهمة المحددة وأدعى لنفسه سلطات واسعة أصبح ينافس بها سلطات الوزير ، وأصبح الحجاب يتدخلون في أهم شئون الدولة . وقد فتح ذلك مجالاً للصراع بين الحجاب والخلفاء والوزراء . أما منصب الإمارة على البلدان - وهو من المناصب المهمة في النظام الإداري - فقد طرأ عليه أيضاً كثير من التطور في العصر العباسي الثاني . فقد كان هذا المنصب منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي الأول يخضع في العادة لسلطة الخليفة ؛ فهو الذي يملك حق الولاية والعزل . أما في العصر العباسي الثاني فقد

اختلقت الأمور تماماً ، ذلك أن الخليفة أصبح يخضع لسلطة عليا من القوى الدخيلة ، وهي التي تملك غالباً حق توليته وعزله ، وهكذا تدخلت هذه السلطات أيضاً في تعيين الأمراء (أو العمال) في الأقاليم التي تخضع لنفوذهم وكان هذا التطور متمشياً تماماً مع ما آل إليه منصب الخلافة من تدهور في ذلك العصر . وقد اتسع نظام البريد في العصر العباسي الثاني اتساعاً كبيراً . فقد كانت مهمة البريد في بداية نشأته توصيل رسائل الخليفة إلى عماله وولاته ونقل رسائلهم إليه وكذلك أخبارهم . ثم اتسعت مهمة البريد - وبالذات في العصر العباسي الثاني - لتشمل أيضاً مراقبة العمال والتجسس عليهم ، وأن يقدم صاحب البريد إلى الخليفة تقارير دورية وافية بكل ما يحدث في مكان عمله ، هذا إذا كان تابعاً للخليفة ، ويفعل الشيء نفسه إذا كان خاضعاً لنفوذ الدول المختلفة التي ظهرت في هذا العصر . ولهذا أصبح نظام البريد في ذلك العصر أشبه ما يكون بقلم المخابرات في عصرنا . ونكتفي بهذه اللمحة المختصرة عن النظام الإداري في العصر العباسي الثاني ، وعن الجوانب الحضارية فيه بصفة عامة ، لعل ذلك يحفز القارئ إلى طلب المزيد من التوسع في هذا الموضوع الذي أثار اهتمام الباحثين في الشرق والغرب .



- (١) بدأ بابك الخرمي ثورته في عصر المأمون ، وكانت حركته حركة قومية مجوسية فارسية ترمي إلى الاستقلال الكامل عن الخلافة ويعت التراث الفارسي القديم ، وقد اتسع نطاق ثورته التي شملت أذربيجان وخراسان وامتدت إلى فارس ، وفشل المأمون في القضاء عليها ، ولكن المعتصم بالله تمكن من هزيمة بابك في أوائل خلافته عام (٢١٨هـ) على يد قائده الأفشين .
- (٢) يقول أبو المحاسن : «إن المعتضد هو آخر خليفة عقد ناموس الخلافة ، ثم من بعده أخذ أمر الخلفاء في إدبار إلى يومنا هذا» .
- (٣) هو ابن زعيم القرامطة الأشهر أبي سعيد الجنابي .
- (٤) يقول ابن الأثير في ذكره لأحداث سنة (٣٢٤هـ) هو : «في هذه السنة قلد الراضي محمد بن طغج (الاحشيد) أعمال مصر مضافاً إلى ما بيده من الشام» .
- (٥) وقد كانت البصرة أيضاً في يد محمد بن رائق ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم .
- (٦) كان يعقوب بن الليث وأخوه عمرو يعملان الصفر بسجستان (والصفر هو النحاس الأصفر) ومن هنا عرفا بلقب الصفار وعرفت الدولة التي أسسها يعقوب باسم الدولة الصفارية .
- (٧) هو أبو تميم معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عبيد الله . ولد بالمهديّة بالمغرب في رمضان عام (٣١٩هـ) وبويع بالخلافة في شوال عام (٣٤١هـ) .
- (٨) ينتمي آل زيار إلى الديلم في نواحي طبرستان وقزوین وجرجان . وكان أول أمرائهم مرداويج بن زيار ، وهو الذي اتصل به بويه رأس الأسرة البويهية وأولاده الثلاثة . أما قابوس فهو الأمير الرابع من آل زيار ، وهو شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زيار .
- (٩) يذكر ابن خلكان أن عمره يوم توفي كان سبعة وأربعين عاماً وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام .
- (١٠) ويذكر ياقوت أن اسمها الصحيح (غزّين) وقد تحولت عند العامة إلى غزنة .
- (١١) لما حضرت الوفاة سبكتكين عهد إلى ابنه إسماعيل بالملك من بعده ، وكان أصغر من أخيه محمود الذي كان في ذلك الوقت مقيماً بنيسابور . ولكن محموداً ناقش أخاه في المبررات التي جعلت والده يضطر إلى تقديمه عليه ، وذكره بأنه أكبر منه سناً ، وأنه يتعين تقديم الكبير أو ينبغي على الأقل أن يشاركه في الملك ، ولكن إسماعيل رفض ذلك ، فدارت بين الأخوين معركة في غزنة انتصر فيها محمود واستقام الملك له .
- (١٢) واسمه مَهَارَش بن المجلى ، وكان رجلاً فيه دين وله مروءة .
- (١٣) الكُندرى بضم الكاف والذال وسكون النون نسبة إلى كندر ، وهي قرية بنواحي نيسابور .
- (١٤) التركمان الغز شعب من الشعوب التركية التي كانت تسكن آسيا الوسطى . وكلمة «غز» هي الصيغة العربية للفظ التركي «أوغور» .
- (١٥) هو طغرل بن ألب أرسلان .
- (١٦) هو هولاکو بن تولی خان بن جنکيزخان .

- آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة - القاهرة - ١٩٤٨م .
- ابن الأثير (على بن أبي الكرم): الكامل في التاريخ - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧م .
- أحمد أمين: ضحى الإسلام - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الخامسة - ١٩٥٦م .
- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - حيدر آباد - الهند - ١٣٥٧هـ .
- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٧٣م .
- حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٦٦م .
- الخطيب البغدادي (أحمد بن علي) : تاريخ بغداد - القاهرة - ١٣٤٩هـ = ١٩٣١م .
- خليل السامرائي وآخرون : تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي - الموصل - العراق - ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .
- سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين - دار المعارف - القاهرة - ١٩٥٩م .
- السيوطي (جلال الدين): تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - القاهرة - ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .
- شاكر مصطفى : دولة بني العباس - الكويت - ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م .
- الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٦م .
- عبد النعيم حسنين - دولة السلاجقة - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٥م .
- فاروق عمر : الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة - دار الخليج - ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .
- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية - ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٦٥م .
- ابن كثير (إسماعيل بن عمر) : البداية والنهاية - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .
- محمد الخضري : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) - القاهرة - ١٩٧٠م .
- محمد مسفر الزهراني : نظام الوزارة في الدولة العباسية - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .
- المسعودي (علي بن الحسين) : مروج الذهب ومعادن الجوهر - دار الأندلس - بيروت - ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .
- مسكويه (أحمد بن محمد) : تجارب الأمم وتعاقب الهمم - نشره آمدروز - مطبعة التمدن - القاهرة - ١٩١٤م .
- ابن النديم (محمد بن إسحاق) : الفهرست - المطبعة الرحمانية - القاهرة - ١٣٤٨هـ .
- ياقوت الحموي - معجم الأدباء - دار المأمون - القاهرة - ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م .

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الخلافة العباسية	٥	ثالثاً : عصر نفوذ السلاجقة	٧٠
قيام الدولة العباسية	٥	الخلافة في ظل السلاجقة	٧٠
الخلفاء العباسيون في العصر الأول	٧	اتساع مملكة السلاجقة خلال حكم ألب أرسلان	٧٤
السمات العامة للعصر العباسي الأول	٢٢	الخلفاء العباسيون في العصر السلجوقي	٧٧
الأوضاع الحضارية في العصر العباسي الأول	٢٧	فروع السلاجقة	٨٠
العصر العباسي الثاني	٣٧	الحروب الصليبية والسلاجقة	٨١
أولاً : عصر نفوذ الأتراك	٣٧	الباطنية والسلاجقة	٨٣
الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية		سقوط الخلافة الفاطمية ودخول مصر تحت	
في عصر نفوذ الأتراك	٤٧	لواء الخلافة العباسية	٨٤
الدولة الصفارية	٤٨	تطور علاقة السلاجقة بالخلفاء العباسيين	٨٦
الدولة السامانية	٤٩	ظهور الدولة الخوارزمية وقضاؤها على السلاجقة	٨٦
الدولة الحمدانية في الموصل وحلب	٥١	رابعاً : عصر ما بعد السلاجقة	٩١
دولة بني بويه	٥٣	أهم جوانب النشاط الحضاري في العصر	
ثانياً : عصر نفوذ البويهيين	٥٤	العباسي الثاني	٩٣
		الهوامش	١١٠

تتناول هذه الموسوعة تاريخ الإسلام والمسلمين بدءاً من بعثة النبي ﷺ حتى إلغاء الخلافة الإسلامية عبر رقعة كبيرة من الأرض امتدت حدودها من الصين واندونيسيا شرقاً إلى الأندلس والمحيط الأطلنطي غرباً ، ومن أواسط آسيا شمالاً إلى المحيط الهندي وأقاصى إفريقيا جنوباً .

وقد انتهجت الموسوعة منهج الحياد في عرض الوقائع والأحداث ، دون مبالغة في ذكر الأمجاد والبطولات ، أو تهوين من العيوب والأخطاء .

وإذا كان استخلاص الدروس والعظات والاعتبار بتجارب السابقين أحد أهداف دراسة التاريخ ، فإن ذلك لا يتحقق إلا بالدراسة الموضوعية للمواقف والأحداث .

والأهم الحية هي التي تدرس تاريخها ، وتتعلم من أخطائها قبل أن تباهى بأمجادها أو تفخر بأبطالها .

سفير ٥ شارع جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة - ص . ب : ٤٢٥ الدقي
ت ٣٣٧٩٧٥٢ - ٣٣٥٣٧١١ - ٣٣٥٣٧١٢ - ٣٤٩٤١٣٩ فاكس ٣٤٨٠٢٩٩



أجزاء الموسوعة:

- ٥ - مصر والشام والجزيرة العربية.
- ٦ - المغرب الإسلامي.
- ٧ - المسلمون في الأندلس.
- ٨ - الدولة العثمانية.
- ٩ - المسلمون في إفريقيا جنوب الصحراء.

- ١ - عصر النبوة والخلافة الراشدة.
- ٢ - العصر الأموي.
- ٣ - العصر العباسي في العراق و المشرق.
- ٤ - المشرق الإسلامي بعد العباسيين.